صفحات من مذكرات

فاطمة رشدي

(الحب والفن)

إعداد

محمد عبد الفتاح صادق

الكتاب: صفحات من مذكرات فاطمة رشدي (الحب والفن)

الكاتب: مُحَمَّد عبد الفتاح صادق

الطبعة: ٢٠٢١

الناشر: وكالة الصحافة العربية (ناشرون)

٥ ش عبد المنعم سالم – الوحدة العربية – مدكور- الهرم – الجيزة - جمهورية مصر العربية

هاتف : ٣٥٨٢٥٢٩٣ _ ٣٥٨٦٧٥٧٦ _ ٣٥٨٦٧٥٧٥

فاكس : ٣٥٨٧٨٣٧٣

http://www. bookapa.com E-mail: info@bookapa.com

All rights reserved. No part of this book may be reproduced, stored in a retrieval system, or transmitted in any form or by any means without prior permission in writing of the publisher.

جميع الحقوق محفوظة: لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو أي جزء منه أو تخزينه في نطاق استعادة المعلومات أو نقله بأي شكل من الأشكال، دون إذن خطي مسبق من الناشر.

دار الكتب المصرية

فهرسة أثناء النشر

رشدي ، فاطمة

فاطمة رشدي .. الحب والفن / مُحَمَّد عبد الفتاح صادق

– الجيزة – وكالة الصحافة العربية.

١٥٩ ص، ١٨*٢١ سم.

الترقيم الدولي: ٩ – ٦١٢ – ٤٤٦– ٩٧٧– ٩٧٨

أ – العنوان رقم الإيداع : ٢٣٨١٨ / ٢٠١٧

فاطمة رشدي

الحب والفن

وكالة الصحافة العربية
«ناشرون»

مقدمة

كتابنا عنوانه "صفحات من مذكرات فاطمة رشدي ..الحب والفن"، فالحب والفن هما كل حياة سارة برنار الشرق، تلك اللؤلؤة المتألقة التي لا يخبو نور ألقها على مر الأيام، وظل اسمها عنوانًا لنهضة مسرحية عظيمة. وفقد كانت رائدة من رائدات السينما المصرية والعربية، وهي عاشقة متبتلة في محراب الفن، وقد ارتبط اسمها بكبار فناني العصر، وعلى رأسهم "نجيب الريحاني" الذي كتب عنها في مذكراته: "فاطمة رشدى اشتغلت فى المسرح عندى وهى عندها عشر سنوات".

لم يكن الريحاني مبالغا أو ناسيا، فبالفعل التقى الطفلة ابنة السنوات العشر واكتشف موهبتها، وأتاح لها فرصة العمل في فرقته المسرحية، وإن كانت قد عملت قبل ذلك بعام فريق الكورس والإنشاد مع سيد درويش.

هي أيضا لم تنس وكثيرا ما حكت عن ذلك اللقاء، دون أن تنسي أدق ما دار فيه ولا أبسط تفاصيله، فقد كان يوم ميلادها الحقيقي كفنانة، وكتبت عنه في مذكراتها، بلهجتها البسيطة التلقائية: اللى عرفنى بنجيب واحد من أصدقاء سيد درويش جابنا من اسكندرية أنا وعيلتى. يومها دخلت المسرح لقيته مليان ستات أجنبيات لبنانيات على إنجليز على طليان كأنها عصبة أمم. أول ما شافنا الأستاذ نجيب قال: أهلا يا أستاذ

رشدى خير ان شاء الله.. عيالك دول؟ قال له: لا دول عيالك أنت. وجئنا لك بتوصية من الأستاذ سيد درويش علشان تشغلهم. رد نجيب أشغلهم ليه هو أنا بتاع قرود.. قاله لا بس هيعجبوك، خصوصا الصغيرة هتعجبك أوي، أنا حفظتها دور بتاع السيدة فتحية أحمد المطربة وهتغنيه هى أينعم مش مطربة لكن هتأدى. فقال لى نجيب تعالى يا شاطرة إنت اسمك إيه.. قولت له: فاطمة رشدى وكان عندى لدغة لاحظها فرد أستاذ رشدى وقال له: هى لدغة شوية لكن بعدين لما تكبر تتصلح.. وأنا سمتها على أسمى فاطمة رشدى لأن فى مطربة أسمها فاطمة قدرى على نفس أسمها الحقيقى.. المهم يومها غنيت طلعت يا محلى نورها.. ووورايا عشرين بنت من جميلات أوروبا.. واللى بيعزف أوركسترا كلها أجانب بقيادة مستر ديفيد.. أول ما خلصت لقيت تصفيق كبير وشيكولاتات بتتحدف عليا من البنات.. وطلع نجيب الريحانى وقالى كنت كويسة قوى يا فاطمة هاتى بوسة بقى قولت له خد بس ذقنك هتشوكنى. وكان معاه واحد اسمه مُحَمَّد بيه تيمور قال لى أسمعى يا شاطرة ممكن تيجى لى بكره الساعة عشرة فى قهوة راديو قولتله أجيلك. وفعلا روحت الصبح وكان قاعد معاه استاذ عزيز وقاله مُحَمَّد بيه هعرفك بتحفة وقال لى أسمعى يا فاطمة أستاذ عزيز عيد ده بتبقى الجوهرة فى الأرض وعليها التراب ياخدها يمسحها وينظفها وتبقى بتبرق وتصبح جوهرة، بعدها أستاذ عزيز قدمنى لأستاذ يوسف وهبى وقال له أنا متبنيها فنيا وهعلمها وهى شاطرة وهتعجبك ووافق الأستاذ وقالى هتلعبى أدوار الطفولة فى الروايات.

هكذا أتاح القدر للفنانة الموهوبة أن تلتقي بطفولتها بسيد درويش

ونجيب الريحاني ومُحَمَّد تيمور ثم عزيز عيد ويوسف وهبي، كل عمالقة عصرها أعجبوا بموهبتها، ومنحوها الاعجاب والاهتمام والرعاية حتى صارت أهم فنانات مصر في عصرها.

وقد لخصت فاطمة رشدي في مذكراتها تلك المسيرة بقولها:

"عشت حياة حافلة بما بها من أحداث وذكريات من فرح غامر وسعادة بالغة وأحيانا يأس قاتل هذه الحياة لو خُيرت بينها وبين حياة القصور لفضلت الأولى لأن أحب الفن، ولا زلت أحبه وسأظل أحبه حتى أخر العمر"، ولنعود إلى البداية مارين بعد ذلك سريعا بأهم محطات حياتها:

ولدت فاطمة رشدي ١٥ نوفمبر، عام ١٩٠٨، وعاشت طفولة كلها بهجة وانطلاقا، كانت كما يقولون "دلوعة العائلة".. الكل يتسابق لتدليلها.

كان من الطبيعي أن تتعلق الطفلة المشاكسة بالفن، حيث تفتح وعيها على أسرة تحترم التمثيل والغناء، كما أن شقيقتيها "سعاد وإنصاف"، كانتا من أعضاء فرقة أمين عطا الله.

بدأت "فاطمة" مسيرتها الفنية وعمرها ٩ سنوات، عندما ذهبت لزيارة شقيقتها "إنصاف" في المسرح، ورآها المسرحي أمين عطا الله، ورشحها لدور صغير، ونجحت الطفلة في كسب ود الجمهور، ورفع التصفيق وصيحات الإعجاب من سقف طموحها، فقررت أن تكون نجمة استثنائية في مجال لا يستوعب إلا أصحاب الموهبة.

بمرور الأيام التقت رجالا اقتنعوا بموهبتها وقرروا دعمها مثل المطرب سيد درويش الذي ضمها لفرقته عام ، ثم التقت المبدع عزيز عيد الذي علمها القراءة، والكتابة، وقواعد التمثيل. وبدأت نجمة المسرح الطريق بأدوار ثانوية، وشيئا فشيئا باتت تتصارع عليها الفرق المسرحية الكبيرة، مثل فرقة رمسيس، وفرقة يوسف وهبي، وفرقة روز اليوسف.

وعندما أرادت فاطمة رشدي أن تقدم فنا خاصا بها، ويعبر عن قناعاتها، قررت تكوين فرقة باسمها، وكان تحديا كبيرا في ذلك الوقت، لا سيما في ظل وجود فرق شهيرة ولها جمهور مثل فرقة نجيب الريحاني، واستطاعت أن تتقدم طابور الموهوبين بفرقتها، وسافرت هذه الفرقة للعرض ببيروت، وبغداد وعدد من الدول العربية.

لم يهدأ حماس فاطمة عند هذا الحد، حيث تعلمت التأليف والإخراج، الأمر الذي دفع نقاد الحركة الفنية في ذلك الوقت لمنحها لقب "سارة برنار الشرق"، كما ساهمت في اكتشاف مواهب فنية مثل: مُحَمَّد فوزي، ومحمود المليجي.

وفي عام ١٩٢٩، قدمت أول أعمالها على شاشة السينما وهو فيلم "فاجعة فوق الهرم"، ولم تحقق هذه التجربة النجاح المتوقع، ولم يصب اليأس قلب الفنانة المصرية، وراحت تبحث عن نصوص جيدة تؤهلها للنجاح، وبالفعل قدمت عبر شاشة السينما ما يقرب من ١٥ فيلما أبرزها: "العزيمة، والهارب، والطريق المستقيم، والريف الحزين، والطائشة، وغرام الشيوخ، ومدينة الغجر".

وعلى الرغم من النجاح اللافت للنظر على شاشة السينما يعتبرها كثيرون رائدة للحركة المسرحية في مصر بسبب إسهاماتها الكبيرة في المسرح، وإنتاجها الفني الغزير، والذي بلغ ٢٠٠ عرض مسرحي. أسست فاطمة فرقة تحمل اسمها ونافست فرقة يوسف وهبي، مؤكدة أن رغم المنافسة لم تنكر أبدًا أفضاله عليها، ولافتة إلى أن "أمير الشعراء" أحمد شوقي أهداها جميع رواياته مجانًا.

وعن المسرح عشقها الحقيقي كتبت في مذكراتها:

"دخلت المسرح لقيت عالم وجيه، تياترو شيك ومناظر وممثلين من أرقى ما يمكن. بدأت اخد أدوار صغيرة وتولاني عزيز عيد، وكان في الفرقة ممثلة عظيمة لم يأت مثلها وهي السيدة روز اليوسف كانت واخدة الأدوار الأولى، وفي يوم أسند لي يوسف بك وهبي دور في رواية (النسر الصغير)، ومنحني بسبب إجادته بروش من الألماظ، بعد خروج روز اليوسف من الفرقة حللت محلها ومثلت جميع الأدوار، وعزيز عيد أسلم وتزوجني".

وكانت فاطمة رشدى قد شاركها زوجها الفنان عزيز عيد تحمل مسئولية الإدارة الفنية للفرقة في ذلك الوقت، وقد انضم لأعضاء هذه الفرقة بعض أعضاء فرقة "رمسيس" الذي أسسها الفنان يوسف وهبي، واللذين لم يسافروا مع الفرقة في رحلتها إلى تونس، وعلى رأس هؤلاء الأعضاء الفنانين: "حسين رياض، استيفان روستي، منسي فهمي، على رشدي، إليس نصر، فيوليت صيداوي، وغيرهم، كما انضم لها أيضا الكثير من هواة المسرح.

قدمت الفرقة أولى عروضها المسرحية بعنوان "الحب" للمؤلفة سارة برنار، وترجمة حبيب جاماتي، أتبعها مجموعة من المسرحيات في ذلك الموسم وهي: "روكامبول" ترجمة أحمد جلال، "كن الزيزفون" ترجمة عزيز عيد، "تيدورا" ترجمة حبيب جاماتي، "النسر الصغير"، "لوكاندة الأنس"، واستمرت الفرقة في تقديم مواسمها المسرحية المنتظمة، وذلك بفضل جهود ودعم أحد الأثرياء وهو "المسيو إيلي" حتى ١٩٣٤، حينما اضطرت "رشدي" إلى حل فرقتها نتيجة للكساد الاقتصادي والخسائر المادية التي لاحقت الفرقة وكذلك الفرق المسرحية الأخري في ذلك الوقت، ثم انضمت إلى الفرقة القومية في ١٩٣٥، حتى استقالت منها واتخذت قرار بتكوين فرقتها مرة أخرى في ١٩٣٦بمعاونة عزيز عيد وأحيت عدة مواسم مسرحية وكان آخرها في ١٩٤٥.

تتابع وهي تقف أمام مسرحها الذي حمل اسمها "قالوا عني سارة برنار الشرق، وخدت جوايز من ملوك وجمال عبدالناصر اداني الوسام من الدرجة الأولى". كما قال عنها الكاتب الكبير مصطفى أمين في الفيديو "كنا معجبين بفاطمة رشدي ونضع صورتها على أغلفة مجلة التلميذ والأقلام، سميناها صديقة الطلبة، وهي سيدة مكافحة كسبت حوالي مليون جنيه في تلك الأيام وأنفقتها على المسرح".

الحب والزواج

أحبت فاطمة رشدي أستاذها عزيز عيد، لما قدمه لها خلال مشوارها من حب واهتمام ورعاية، فأتت اللحظة التى لا بد من أن يتوج حبهما

بالزواج. فقد حدث أن مرضت فاطمة مرضا شديدا ولم يلحظ عزيز عيد غيابها نظرًا لشواغله الكثيرة بفرقة "رمسيس"، ولكن صديقهما المشترك الفنان مختار عثمان أخبره بأن فاطمة مريضة جدا وتسأل عنه دائما، ويبدو أنها كانت قد تحدثت مع مختار عثمان في أمر ارتباطها بعزيز، ثم فاجئ عزيز باقتراح زواجه من فاطمة، وسرعان ما وافق على الفور، ولكن كانت هناك معلومة لا تعرفها فاطمة وهي أن عزيز عيد قبطيًا، فخشي عيد من رفضها الارتباط به وقام بالإعلان سريعًا عن استعداده لإشهار إسلامه.

وبالفعل أعلن الفنان عزيز عيد إسلامه وتزوج من فاطمة عام ١٩٢٤، ولكن النيابة المصرية استدعته لأن الفتاة على الرغم من شهرتها إلا أنها كانت لا تزال قاصرا بحكم القانون، وهنا تدخل بعض كبار الشخصيات ممن يعرفون قيمة وحجم عزيز لإنهاء الموضوع، كما أنجبت فاطمة منه طفلتها الوحيدة التي قامت بتسميتها عزيزة عام ١٩٢٥.

وبعدما إنفصلت فاطمة عن عزيز عيد أسست فرقتها المسرحية الخاصة التي حملت اسمها وقدمت خمسة عشر مسرحية في سبعة أشهر، وقدمت من خلالها بعض النجوم الجدد ومن بينهم: محسن سرحان، السيد بدير، سعيد أبو بكر، محمود المليجي، يحيى شاهين، نادية السبع، ومُحَمَّد فوزي الذي كان يلحن المونولوجات التي تقدم بين فصول المسرحيات.

تزوجت فاطمة رشدي بعد ذلك أربع مرات، زوجها الثاني بعد عزيز عيد هو المخرج كمال سليم، ثم تزوجت من المخرج مُحَمَّد عبد الجواد، أما الزيجة الرابعة فكانت من رجل أعمال، وانفصلت عنه بعد شهور قليلة،

لتتزوج عام ١٩٥١ من ضابط شرطة.

ومع بداية الستينيات، اختفت فاطمة رشدي من الساحة الفنية، وغابت أخبارها عن الصحف، لتعود بعد سنوات بأخبار حزينة عنها تؤكد أنها تعيش حياة بائسة في غرفة متواضعة، ولا تستطيع تدبير نفقات علاجها، وبدافع إنساني تحرك الفنان فريد شوقي، زارها في حجرتها المتواضعة، ووفر لها مأوى يليق بها، وقرار علاج على نفقة الدولة، ولم تكشف للراحل فريد شوقي سر التحول في حياتها، وكيف فقدت ثروتها، ثم رحلت عن الدنيا في ٢٣ يناير ١٩٩٦، حاملة سرها.

وقد نشرت فاطمة رشدي أكثر من كتاب يضم مذكراتها وكذلك نشرت بعض هذه المذكرات في حلقات مسلسلة في الصحافة الفنية، وهذه الصفحات تضم بعضا من مذكراتها ولا ندعي لها الكمال، وقد اجتهدنا في تحري الدقة والتقصي في بعض الأحداث ودعمنا الكتاب بالصور النادرة ، لمسة وفاء للرائدة القديرة فاطمة رشدي.

مُحَمَّد عبد الفتاح صادق

الشاب الذي أحبني

ذات يوم ذهبت إلى وزارة الثقافة، وأخذت أصعد الدرجات الرخامية الفاخرة لقصر الوزارة متعجلة رؤية السيد الوزير، متشوقة إلى لحظة استلامي من يده الوسام الذي كرمتني الدولة به..

إذ شهدت لي بأنني الأولى في المسرح.. الأولى في السينما، ومع هذا التعجل فقد توقفت عند نهاية الدرج.. وأخذت أتأمل في ذلك القصر الفخم الذي يطل على نيلنا الحبيب عند بداية حي الزمالك.. ومر بناظري الحديقة الغناء الرائعة.. وأنا أقول لنفسي إنني لو قلت كلمة واحدة، وهي كلمة «نعم».. وأنا فتاة في الثالثة عشر من عمري.. لكنت قد أصبحت مالكة هذا القصر وكل ما يحويه من رياش وأثاث.. ولكان من الممكن أن تطول حياة شاب كريم وأن يتجنب المصير التعس الذي انتهى إليه.. ولكنه القدر الذي يرسم لكل دوره في الحياة، ويدفع به إلى طريق حياته الذي عليه أن يسير فيه إلى نهايته.. وسيطرت على عواطفي سريعا وجعلت خاطري يقهر ذكرياتى إلى أن انتهيت من مقابلتي مع السيد الوزير، وخرجت من مكتبه إلى حديقة القصر أحمل الوسام.. ومع خروجي إلى الحديقة عادت ذكرياتي تهاجمني حتى استغرقتني تماما، وتذكرت أستاذي عزيز عيد وهو يقول "أنا خايف عليكي يا فاطمة".

○ ليه يا أستاذ عزيز؟ دنا ما بضيعشي دقيقة من وقتي.. باحفظ وأمثل

وأعمل بروفات مع روحي لوحدي.

- عشان كده أنا بخاف عليكي.. الإحساس القوي ده بالمسرح.. الطاقة الفنية الموجودة فيكي.. استعدادك الفطرى للتعليم.. سرعة استجابتك لكل إرشاد وتدريب.. ده كله ممكن يخليني أخلق منك مع الصبر والتمرين ممثلة عظيمة.. ممثلة عالمية توصل شهرتها لشهرة سارة برنار.

- مين سارة برنار يا أستاذ عزيز؟

- ممثلة فرنساوية أعظم ممثلة مسرح في العالم.. شهرتها تساوي شهرة نابليون بونابرت أو أكثر لأنها فنانة.

- نابليون ده صاحب التياترو اللي بتشتغل عنده.. قصدي زي يوسف بيه وهي كده؟

- عاجبني فيكي إنك تحبي تعرفي كل حاجة.. تسألي عن كل حاجة.. نابليون ده كان جندى بسيط، وكان وهو صغير عنده طموح كبير.. اجتهاده وطموحه وصلوه لكونه يبقى حاكم فرنسا وأشهر القادة العسكريين في العالم، إن شاء الله لما نقدم رواية النسر الصغير حتعرفي حاجات كثيرة عنه.

- حاتديني النسر الصغير عشان أنا صغيرة؟

- النسر الصغير حاتلعب دوره روزاليوسف.. إنما أنتي كمان لو طاوعتيني وسمعتي كلامي هايبجي الوقت اللي تلعبي فيه دور النسر الصغير ابن

نابيلون.. وأنتي فاهمة الدور كويس وتحققي لنا فيه بجد كبير يا فاطمة.. ده إذا طاوعتيني.

- حاضر يا أستاذي.. قوللي أعمل إيه
- ما تتجوزيش يا فاطمة..
- يا أستاذ عزيز أتجوز إيه.. دنا لسه صغيرة قوي.. هو أنا كملت لسه أربعتاشر سنة؟
- العريس اللى عايز يتجوزك ما يهموش عمرك.. ما يهموش أن المسرح يخسر موهبة متفتحة.. كل اللي يهمه أنه يخطفك منا.
- يخطف مين دنا أبطحه.. أضربه بزهرية على دماغه.. أشكه مقلب.. أنا حافضة صم يا أستاذ كل ملاعيب بيرل وايت.. ما تخافش على الحركات دي بأذاكرها كل يوم وعارفاها.
- يا سلام عليكي يا فاطمة.. عينيكي بتعبر.. صوتك بيعبر.. كل حتة في وشك بتعبر مستحيل أخلي المجنون ده يتجوزك.
- مجنون مين ده اللي عايز يتجوزني وأنا ما أعرفش..
- لما تروحي البيت حتعرفي..
- لكن مين اللي عايز يتجوزني.. أعرفه أنا يا أستاذ عزيز؟
- ضروري شفتيه.. بقى له أسبوع يحجز البنوار الأول يمين.. أتاريه كان بييجي مخصوص عشانك.. عرفتيه؟

- ما شفتوش خالص.. وذهبت إلى منزلنا بعد انتهاء البروفة، ففاجأتني والدتي:
- تعالي يا فاطمة.. أنا حكلمك في موضوع مهم.
- عارفة.
- وده مين بقى اللي عرفك.. المجنون الخرفان اللي واكل عقلك بحكاية التمثيل والتياترو.
- احترمي أستاذي يا ماما.
- أستاذك؟ بقى لما ربنا عايز ينصفنا أنا وأخواتك ويسعدك سعادة لا قبلها ولا بعدها.. نقوم إحنا نتبطر على النعمة. أنتي عارفة الشاب ده مين؟ مين عيلة مين؟ عايز يدفع لك مهر إيه؟ ويقدم لك إيه؟
- أنا مستقبلي كله في المسرح يا ماما.
- سلامات يا مسرح.. المسرح حايديكي كام في الشهر؟ في السنة؟ في عشرين سنة؟ ألف.. ألفين..؟ ده أنتي حيكون باسمك عشرة آلاف جنيه في البنك.. «حيعلموكي» وتسافري بعدها سويسرا تكملي تعليمك هناك سنتين، وعلى ميعاد كتب الكتاب ترجعي لنا بالسلامة.. حيقدم لك شبكة ونشان ألماظ في ألماظ، وحتلبسي أحسن صيغة وأحسن فساتين زي الأميرات والبرنسات.. وتروحي في عربية ملاكي على قصر عريسك في الزمالك؟ قلتى إيه؟
- لأ..

- يبقى ربنا مش رايد لك السعد.. مش هتلاقي حد يحبك الحب ده.. صدقيني وطاوعيني.

- لأ فيه كتير قوي يا ماما بس أنا مش راضية أقول لك.. طب تصدقي بإيه.. إن أنا مضيعة ثلاث شنط دهب بالألماظ في السينما..

- كمان حاتكدبي عليا..؟

- ولا بكدب ولا حاجة.. أنا ليا أصحاب بيحبوني عشان أنا حلوة وغلباوية وبيهادوني دائما بشنط دهب بالألماظ.. ولما باروح معاهم السينما وأتفرج وألاقي الشجيع وهو مزنوق ينتصر على أعدائه أنبسط، وأسقف، ولما ألاقي الشنطة لاخماني أروح شايلاها على رف اللوج اللي أنا فيه.. وهات يا تصفيق لحد ما أشبع.. ولما تنور السينما أخرج قوام عشان ألحق ميعاد التياترو فأكون نسيت الشنطة.

- ومين دول بقى أصحابك اللي بيهادوكي وتروحي معاهم السينما؟

- ولاد ذوات برضه.. لكن غاويين سينما وشجاعة زيي.. مفيش حد منهم بيقلب دماغي بكلمة أحبك، ولا حد منهم سألني إن كنت بأحبه وألا لأ.. هوه أنا فاضية لوجع الدماغ ده..

- خليكي لوجع الدماغ الأكبر.. خليكي للتياترو.

كل هذا تذكرته وأنا أقطع المسافة من الحديقة إلى باب القصر، وتذكرت الشاب الذي أحبني من نظراته إليَّ.. ولم يكن شابا عاديا.. كان شابا قد تربى في القصور.. ورأى في كل يوم من أيام حياته القصيرة التي لم

تبلغ الثلاثين حين انتهت الكثير من الجميلات.. جميلات الأتراك. جميلات المصريات.. جميلات الأجنبيات. ومع ذلك، فقد خفق قلبه بالحب لفتاة تعيش منزوية في كواليس رمسيس ساذجة.. لم تكن متعلمة لأنها لم تذهب إلى المدارس.. لا تلبس ما يجذب الأنظار من ملبس وأدوات زينة ولا تملك إلا ما وهبتها الطبيعة السخية المغدقة من جمال بكر لم تسده أصباغ ولا دهون.. ترى.. هل كان من الممكن أن أقول نعم.. ترى هل أخطأت حين قلت لا.. لا أدري.. وهل كان رفضي سببا في أن يترك هذا الشاب وطنه ويسافر هنا وهناك حتى تعرف بباريسية حسناء.. أحبها بعنف وغار عليها.. وكانت غيرته، وكان حبه سببا في مصرعه بيد من أحب.. لا أدري.. ولا هو يدري.. لكنني أعرف فقط، وأعرف جيدا بالطبع، إن ذلك الحب المبكر الذي وقف ببابي في مستهل حياتي، ولم يحاول أن يقتحم قلبي.. أعرف إنه لو كان قد حاول أن يجد منفذا إلى قلبي.. وبكل الوسائل لما استطاع، لأنني كنت دون أن أشعر قد أحببت الحب الآسر الغلاب الذي تغرد بقلبي وروحي وعقلي. كان هذا الشاب هو صاحب القصر.. وعادت بي الذكريات إلى الماضي..

تفتحت عيني على الدنيا.. نشأت في بيت من بيوت العز، محاطة بالحب والحنان حيث كان والدي غنيا، محاطة بخادمتين لتلبية جميع طلباتي، رغم أني كنت أصغر شقيقاتي، فلقد سبق أن رزق والدي بأربع بنات قبلي، وكان يتمنى أن يرزق بولد، فاكتفى بما رزقه الله، ولكن والدتي وكانت تشعر بما في دخيلة زوجها من حسرة، حداها الأمل فيما لو رزقها الله بمولود جديد، أن يكون ولدا، فحملت بعد خمس سنوات ولكن ليس كل ما

يتمنى المرء يدركه، فإن لله حكمة فيما يشاء، والإنسان عليه أن يتقبل شاكرا عطاء الله.

وهكذا ظهرت في الدنيا رغم أنف الجميع، ورغم أن والدتي ساعة ولادتي، رمتني من فوق الفراش، شفقة على زوجها المسكين، الذي كان يتطلع إلى ولد، زرقه الله بالبنت الخامسة، ولكن بعد أن ظهرت ملامح وجهي واكتشفوا تقاسيمه الجميلة وابتسامتي البريئة، استبشروا بي خيرا، وكنت الفتاة المدللة في بيتنا المحبوبة من الجميع، تجاب طلباتي، وتلبى رغباتي، وصرت محط أنظار العائلة والأقرباء والأصدقاء.

وانتقل والدي إلى رحمة الله، وكنت وشقيقاتي صغار السن، وفقدت والدتي ثروتها بعد أن ضحك عليها السماسرة في شراء منزل وهمي، وأصبحنا بين يوم وليلة لا نملك شروى نقير، وكنت طفلة صغيرة عندما عصفت بنا يد القدر، وضاعت منا الثروة، طفلة تدب بقدميها الصغيرتين على شوارع الإسكندرية وهى تتعلق بيد أمها وأختها التي تكبرها، والظلام يسود كل شيء والأسرة المتعبة تعود إلى البيت بعد انتهاء العمل بمسرح أمين عطا الله بالإسكندرية حيث كانت تعمل شقيقتي.

هذه هي الصورة التي تفتحت عليها عيناي، وأنا أشاهد أختي كل ليلة تقف على خشبة المسرح. كان عمري في ذلك الوقت ١٠سنوات، ولا أحمل للدنيا هما، ولا أفكر إلا في ترديد الأغاني التي أسمعها من أختي أو التي أسمعها من المطربة فتحية أحمد.

أول ليلة على المسرح

وذات ليلة.. وقفت على خشبة مسرح أمين عطا الله وغنيت أغنية الشيخ سيد درويش المعروفة «طلعت يا محلا نورها» وكانت هذه أول ليلة لامست فيها قدماي خشبة المسرح لأواجه الجمهور. وكان في الصالة في هذه الليلة الملحن العظيم سيد درويش الذي أعجب بي، وسأل عني فتقدمت منه والدتي وعندما علم منها بحالتنا بادر بإعطائها عشرة جنيهات، وطلب منا أن نسافر فورا إلى القاهرة لنعمل معه.

وهكذا وصلنا إلى القاهرة.. أنا وشقيقتي التي تكبرني لنشتغل بالفن وفي القاهرة بهرتني الأضواء وتدفق السيارات بأعدادها الرهيبة بالنسبة لسني وقتها.. الأضواء في كل مكان.. العمارات الشاهقة.. البيت الواحد الكبير الذي تنزل به أسر كثيرة لا قرابة ولا صداقة بين أفرادها.. فقد كانت أول مرة في حياتي أقيم بها مع أسرتي في فندق لا في منزل خاص، وكان من الصعب أن تستقر كلمة فندق في عقلي وقتها. يا سلام. حمدا وشكرا لك يا رب. كانت العظمة تلازمني في كل خطواتي منذ صغري.. عظمة العقول وعظمة الشخصيات فالذي أحضر أسرتي من الإسكندرية إلى القاهرة، والذي اختار لنا الفندق الذي نزلنا به في شارع كلوت بك وتكفل بدفع نفقات إقامتنا فيه. كان نابغة الموسيقى الشرقية.. سيد دروش.

وأول الذين أبدوا إعجابهم بشخصيتي التي تكبر سني، كان كاتبا فذا وكان من أوائل رواد المسرح، هو المرحوم مُحَمَّد تيمور، شقيق الأديب الكبير محمود تيمور، لفت نظري عملاق الإخراج المسرحي في الشرق «عزيز عيد» وفي ليلة وصولنا إلى القاهرة حضر سيد درويش إلى الفندق وأخذنا أنا وشقيقتى ليقدمنا لصاحب المحل.

وفي الطريق من كلوت بك إلى عماد الدين، كانت الجميلات الفاتنات كثيرات وأغلبهن من أوروبا، وكانت السيارات الفخمة تنهب الشوارع بنسائها الرائعات، ولكن بلا غرور ولا مبالغة. كانت كل الأعناق والرؤوس تلتوي وتنثني لتنهب لحظات من رؤيتي لأنني بحق كنت أكثر بكثير من أي معنى لكلمة "حلوة" فالوجه مرسوم، واللون أبيض وردي، والخدود يكاد ينفجر منها الدم، ودلفنا إلى مسرح الريحاني من بابه الخلفي. وبدلا من أن ننزل إلى تحت لنقابل من سنعمل معه وهو عظيم آخر، هو نجيب الريحاني.. تسمرت في مكاني على السلم ثم صعدت كذا درجة لأتابع الموسيقى الحلوة التي سمعتها ولأرى جو المسرح الساحر الذي تزينه الأضواء وألوان الملابس الخلابة لراقصات الباليه المشتركات في العرض المسرحي وهن يغنين أغنية عربية برطان أفرنجي وظللت لثواني أنظر إليهن وأنا مبهورة مندهشة حتى تنبهت إلى الأستاذ سيد درويش وهو يربت عليَّ، ويقول: "تعالي تعالي.. نجيب نازل.. مانتي حاتشتغلي معاهم وتبقي معاهم كل ليلة".

ونزلنا السلم ودخلنا على الأستاذ نجيب وهو جالس إلى المرآة يثبت ذقن كشكش بيه، وهي الشخصية التي كان يمثلها وقتها. والتفت إلينا

وأشبع عينيه من جمالي ثم قال مبتسما، أنا عايز ستات أشغلها يا شيخ سيد، مش عيال، لكن عشان خاطرك أنت.. حاضر.. حشغلها، وأخذني إلى صدره، وربت علي وقبلني قبلات شعرت معها بنشوة لأنها كانت أول قبلات تذوقتها من رجل.. كيف لا وقد سمعت من قبل أنني قبلت للعمل.. وسوف أعيش مع الراقصات الساحرات..

وحقا كان الريحاني والكسار يقدمان أعظم فرق الباليه، فرق لم أر لها مثيلا إلا بعد أن كبرت وزرت فرنسا، وشاهدت مثيلاتها في كازينو دي باري. وكازينو الفولي برجير.

وهذا اللون الذي يحتوى على استعراض من نساء جميلات من مختلف الأجناس الأوروبية يرقصن ويغنين عربي مكسر، برع فيه الريحاني وهو يمثل شخصية كشكش بيه، وكنت أشارك الفرقة وأنا لابسة حذاء بكعب عالي لأول مرة في حياتي حتى أتساوى معهن في الطول، وأنشد أغنية "طلعت يا محلا نورها"، وهي الأغنية التي كانت ذائعة الصيت في ذلك الوقت، والراقصات يرددن بعدي على أنغام الموسيقى.

وهكذا كان شارع عماد الدين في ذلك الوقت، مسارح استعراضية نساء جميلات ساحرات، ترف وبذخ. وأنا الطفلة البريئة الصغيرة في هذا الموج أنتقل كالفراشة من فرقة إلى أخرى، حيوية دافقة، حتى أصبحت إحدى معالم المسارح، فتهافت علي كبار الفنانين، والمعجبين الذين كانوا يقضون سهراتهم في قهوة الفن في شارع عماد الدين، ووضع أحد المعجبين أغنية كان يرددها الجميع وهي: خدي أقولك كلمة في ودنك يا فاطمة

رشدي ليه والنبي ياختي علي تجني حسنك وسحر عنيكي هو ده اللي فتني وحلاوتك وخفة دمك راح تجنني شيك ونميسه يا ماما وسنك أصغر من سني تعالي يا روحي داويلي جروحي جننتيني هوستيني حتجننيني دنا روحي فداك يا جميل بس الأمان

لقد أضحكتني الذكرى لأنها ذكرى طفولية.. كان عمري وقتها اثنى عشر عاما أو أكثر.. عندما التقيت أثناء العمل في إحدى الفرق المسرحية بصبي يلبس بنطلونا قصيرا ويعمل مغنيا وكان عمره أزيد قليلا.. وكنت لثغاء أنطق السين ثاء.. وكان ألثغ ينطق السين ثاء.. وقد فاجأني يوما بأن طلب مني «بوثه» فاندهشت لطلبه فبادرني بعاطفة الصغار.. "باحبك" فقلت له إذا كنت بتحبني صحيح أطلب واحد كاكاو.. فلبى طلبي في الحال. ثم أردت أن أنبهه إلى خطورة المسألة حتى يقدر جيدا فداحة المغامرة التي سيقدم عليها.. فقلت له.. "دا الكاكاو ثمنه قرش صاغ".. فاندفع قائلا زي بعضه، وصفق وطلب لي الكاكاو ونال البوثه التي اشتراها.. وتلذذت بشرب المشروب الذي أشتهيه.

وفي صيف عام ١٩٢٢ انتقلت للعمل في مسارح روض الفرج.. وفي ذلك يقول أحد أصحاب الكازينو الذي كنت أعمل به وهو كازينو «مونت كارلو»:

على الشاطئ الشرقى للنيل في روض الفرج، ضاحية القاهرة الشهيرة في ذلك الوقت بروضة العشاق، حيث لم يكن في العاصمة متنفس سوى حديقة الأزبكية، كان الأهالي يخرجون قرب الغروب إلى جانب النهر هروبًا

من الغيظ وتلمسا للهواء العليل، وعلى مسافة حوالي نصف كيلو متر، بعد آخر محطة الترام، اصطفت الملاهي التي كانت تقدم برامجها الترفيهية وكان آخرها يحمل اسما رنانا هو «كازينو مونت كارلو» الذي كان يعمل عليه يوسف عز الدين في تقديم روايات الأوبريت التي شاعت وقتذاك في شارع عماد الدين.. وكانت الفرقة مكونة من: رياض القصبجي، وعباس الدالي، ومُحَمَّد الصغير "المطرب والفتى الأول"، وفاطمة رشدي بصفتها بريمادونا ولم تكن تتجاوز سنها ١٣ سنة.

ولم يكن اختيار فاطمة رشدي يرجع إلى كفاءتها أو شهرتها، ولكن إلى جمالها الأخاذ، وخفة دمها ورشاقتها وما يحتويه شبابها من مفاتن وجاذبية لا تقاوم. حقيقة أن البرنامج كان يعتمد على رواية.. إلا أنه رغبة في ارضاء الجمهور واجتذابه من الساعة السابعة إلى العاشرة، وحتى لا يعتريه الملل والضجر، كانت الفرقة تقدم قبل بدء الرواية عروضا على سبيل «الابيريتيف». وكان رصيد الفرقة ضخما من ألحان سيد درويش وإبراهيم فوزي. ألحان أثبتت أصالتها ونجاحها من قبل في الروايات الاستعراضية التي قدمتها فرقتا نجيب الريحاني وعلى الكسار، نذكر منها: الجرسونات، تجار العجم، الشيالين، طلعت يا محلا نورها، الحلوة أهي قامت تعجن في البدرية.. إلخ.. والثنائي الذائع الصيت: على قد الليل ما يطول من أوبريت «العشرة الطيبة».. كان يقوم بهذا الثنائي مُحَمَّد الصغير– الذي كان فعلا صغيرا سنا وقامة وموضوعا – وفاطمة رشدي التي كانت تتلألأ في زي فلاحة تتبختر وتهز كتفيها بدلال وتداعب ذيل فستانها الطويل، عندما يطالبها فتاها: إديني بوسة.. كان الجمهور يضج ويلح في إعادة هذه القطعة

الجميلة. ولم تكن تمر ليلة دون تقديمها. ولم يقتصر نجاح فاطمة على هذا فقط. إنما برزت ولفتت الأنظار كلما قامت بأدوار شتى.

كان هناك الماء والخضرة والوجه الحسن، كان الشباب يتحمس لهذه النجمة الحديثة، وكانت لابتسامة فاطمة وقع السحر كان المعجبون يأخذون أماكنهم بشكل مجموعات أو تكتلات. فإذا ابتسمت فاطمة إلى اليمين وجب عليها أن تعطي أعضاء اليسار حصتهم بابتسامة جديدة تشفي غليلهم وتثلج صدورهم إلى حد ما.

ولم يخل الأمر من غيرة الشباب بعضهم من بعض؛ فبرغم ضجيجهم لم يقم أحد منهم داخل الكازينو بعمل من شأنه تعطيل العرض إنما كانوا يلتقون خارجه، يلتحمون في عراك قلما ينتهي بدون خسائر من جانب أو من جانبين.. وكل هذا إكراما وفداء لجمال فاطمة ولأجل خاطر عينيها. وفاطمة الفتاة البريئة لا تدرى شيئا كان خيالها يداعب الشباب في نومه، يراها تتحرك وتتكلم وتغني، فيهنأ ويدعو لها.

كانت تعيش وحيدة إلا من شغالة شابة تخدمها وتؤنسها، ذلك أن شقيقاتها كانتا تعملان في الإسكندرية فاصطحبتا الوالدة التي كانت واثقة من صغيرتها، ولقد حاول كثيرون التقرب منها بشتى الوسائل والهدايا والحجج ولكن هيهات!

وفي إحدى الليالي وأثناء عودتي من العمل بروض الفرج، وقفت سيارة ودعاني راكب السيارة وهو أحد المعجبين، وطلب مني التوجه إلى سيده لأغني في حفل أقامه.. بعض القطع الغنائية التي كنت أغنيها في

روض الفرج والبوسفور، ولبيت طلبه وما أن وصلنا إلى مكان السيد حتى وجدت قصرا فخما، وقدمني إلى صاحب القصر وهو يقول له "يا صاحب السمو"، فقد كان أميرًا من العائلة المالكة، وطلب سموه مني الغناء فغنيت بمصاحبة «جردل الشمبانيا» الذي كانوا يوقعون عليه كأنه تخت موسيقي.

ولما كنت ارتدي فستانا ضيقا فقد أحضروا لي بيجامة حتى أستطيع الرقص، فوجدت عليها التاج الملكي ففرحت وقد غطتني الجاكتة حتى ركبتي، ولعبت في رؤوسهم الخمر فقام سموه وقبل قدمي، فقلت له مستحيية: "أستغفر الله.. أستغفر الله".. فضحك الجميع لنا، ولكني عندما شعرت أنه سيتمادى، خفت وهربت إلى الشارع بالبيجامة الملكية وظللت أعدو في الطريق إلى أن وصلت إلى منزلي وأنا في غاية التعب.

الإعجاب بنبوغي الفني والحب البرئ

وتنبأ لي الأدباء والفنانون بنبوغي الفني، ومنهم الزجَّال أبو الوفا رمزي نظيم الذي كان أحد رواد قهوة الفن، ونظم لي زجلا تحدث عني وما كان يدور في دنيا الأضواء والمناظر في عالم المسرح.. ودنيا الترف والبذخ بشارع عماد الدين وكذلك جو الفنانات وأغلبهن من الأجنبيات..

أما حب الإعجاب البريء اللطيف فقد عرفته وأنا صغيرة أتنقل كالفراشة من فرقة إلى أخرى، وفي قهوة الفن وفي كازينو دي باري وجدت الحب اللطيف في قلوب كثيرين وكانت الفنانات الأجنبيات يتخاطفنني ويتبارين في المزاح معي ومعاكستي وتقبيلي لدرجة أنني أردت أن أتعلم فن الباليه، وشباب المتفرجين كنت أقرأ حبهم اللطيف البرىء في عيونهم.. وأتسلم رسائلهم الوردية والبنفسجية بابتسامة ألطف.. الإعجاب اللطيف وجدته من رجال عظام كان أحد رواد قهوة الفن.. هو أبو الوفا رمزي نظيم الذي نظم زجلا طويلا تحدث فيه عني وعن دلائل نبوغي..

الإعجاب اللطيف عرفته من صحفي نابغ هو صاحب مجلة المسرح هو الأستاذ عبد المجيد حلمي.. والإعجاب ممن يحق لي أن أسميه صديقي الكاتب الكبير مُحَمَّد تيمور، وكذلك الإعجاب عرفته في شخصية رقيقة لمعت في فترة ما، وصار وزيرًا، وكانت أميز صفاته هي الرقة وخفة الروح. وعمله تجميل الحياة من أية زاوية لطفلة جميلة فنانة بالكلمات الحلوة

الرقيقة.. بمجرد الاهتمام بدعوتها إلى مشاهير أفلام رعاة البقر التي تهوى مشاهدتها وتنفعل بها وحب آخر لرجل كبير في السن كان يهديني أثمن وأغلى الهدايا لا أقدر قيمتها الفعلية، ولكن قلبي الصغير يفرح بأنها هدية هذا الحب اللطيف جعلتني أصدق كل من يكبرني سنا ويقول لي: "أنت لطيفة وأنا بحبك"..

والذي خدعني أكثر وأكثر صديق كبير السن،كان مثالا في الرقة، وكان يغمرني بعطفه وهداياه القديمة وكانت أغلبها ماسا، وبالابتسام طول الوقت في وجهي معجبا بكل كلمة أقولها.. سعيدا بكل حركة من حركاتي، وكان اسمه الذي أذكره هو «ش» ولهذا فحين رأيت العجوز الآخر صاحب اللحية الكبيرة البيضاء أنه سيكون أكثر حنانا عليّ من «ش».. وأن هداياه ستكون أثمن، أخذ يدي بين يديه وظل يمسح عليهما بيديه ثم قال لي:

– شايف إيديكي الحلوة دي فاضية..

– هو أنا لازم أشيل فلوس علشان ما تبقاش فاضية..

– لا يا عبيطة.. إذا إديتك جنيه دهب تشتري بيه إيه؟..

– ما أشتريش.. أدخلك السينما على حسابي..

– طيب خدي الجنيه الدهب ده.. حطيه في جيبك.

– ومادام كنت عايزة تودّيني السينما.. أنا حاوديكي حتة أحلى.. تعالي.. تعالي.

– آجي معاك نروح فين؟

– نروح الصاغة.. ياللا قوام قبل ما تقبل.. عايز أشتري لك غوايش ذهب.. غوايش تحلي الإيدين الحلوة دي أكثر وأكثر..

– غوايش إيه.. تعال نروح السينما أحلى..

– ياللا ياللا قبل الصاغة ما تقفل. أنا مالي بقى.. أنا عزمت عليك وانت اللي ما رضيتيش.

وخرجنا إلى الطريق، واستدعى سيارة أجرة ركبناها وذهبنا إلى الصاغة وكانت الدنيا غريبة عليَّ؛ فأخذت أنظر إلى كل ما أراه في ذلك المحل والمحال المقابلة له، تاركة لصديقي العجوز الحديث مع صاحب المحل وانتقاء ما يريد، حتى اشترى ما أراد وسألني عما إذا كان ما اختاره لي قد أعجبني فقلت له نعم، وأنا ما أزال مبهورة بكميات الذهب الهائلة التي أرى نفسي وسطها. وبعد أن تركنا المحل وسرنا في الشارع قال لي:

– اسمعي يا بطة.. إحنا جايين راكبين تاكسي.. ودلوقتي الدنيا ليل والجو جميل.. إيه رأيك نركب عربية حنطور.

– حنطور إيه؟ دي حتودينا في سنة.

– واحنا مستعجلين على إيه.. دا إنتى بتطلعي المسرح الساعة حداشر.

– إيش عرفك؟

– عارف.. بقى لي تلات أيام بروح أتفرج عشانك.

– المرة الجاية حيدوني أدوار أكبر.

– ثم أوقف عربة مارة في الطريق وقال لي:

– اطلعي يا بطاطة اركبي اركبي.

– ووجدت أن العربة قد اجتازت بنا كوبري قصر النيل، وانحرفت يسارا إلى طريق الجزيرة المظلم فبدأت الشكوك تساورني وفي شيء من الخوف سألته:

– إحنا رايحين فين؟

– حانتفسح.

– حد يتفسح في الضلمة؟

ولم يرد على سؤالي ولكنه لف ذراعه حولي واجتذبني إليه وقبلني في شراهة ونهم قبلة أفزعتنى فصرخت به:

– إيه اللي عملته ده؟

وبدأت يده تضغط على جسمي ويده الأخرى ترتفع إلى صدري، وأخذت أضربه بكلتا يديَّ على وجهه، وحين لمست يدي عفوا ذقنه أيقنت أنني سأغلبه فتحولت إليها بيدي، وبكل ما في من غضب وثورة أخذت أجذبها حتى صرخ.. ونبهت صرخته الحوذي فتمهل في سيره، ورأيتها فرصة سانحة، وقفزت من العربة وظللت أجري وأجري حتى رأيت نفسي بين الناس الكثيرين السائرين على كوبري قصر النيل.

وكان سيل المعجبين والمحبين لا ينقطع؛ فمرة أحبني شاب كان مثلي من هواة أفلام رعاة البقر.. لأنه حين عجز عن لفت أنظار البطلة إليه، والبطلة هي أنا بنت الثالثة عشر يومها، قرر أن يستولي عليها بالزواج.. من الغريب أنه أيضا لم يفاتحني أنا في ذلك، بل فاتح أمي.. وأمي اختصرت معه الحديث لأنها وجدته شابا صغيرا عصبي المزاج فلم ييأس حين صرفته بلطف. وانصرف الشاب وفي رأسه فكرة يريد تنفيذها، ولما اختمرت الفكرة في رأسه بدأ يبحث عمن يساعده في تنفيذها، وكان عماد الدين أو شارع الملاهي وقتها به كثير من الأشرار الذين يستغلون قوتهم أو يستغلون استهتارهم في فرض حمايتهم على الفنانين، أو تقديم خدماتهم لمن يجزل لهم العطاء من الأثرياء المترددين على الملاهي.. ولهذا سريعا ما وجد ذلك المحب المغامر نفرا من هؤلاء الأشرار واتفق معهم على اختطافي عنوة وأنا أسير في الشارع، وأحاط بي اثنان وجذباني إلى سيارة ذلك الوجيه ليجذبني ثالثهم الذي كان بالسيارة إلى داخلها.. ولكن شاءت عناية الله أن يمر زميل فنان.. هو استفان روستي بنفس المنطقة.. ويشهد ذلك الحادث الجريء، فأخرج مسدسه وأشهره في وجوههم وهددهم بإطلاق النار عليهم.. إن لم يطلقوا سراحي، فأذعنوا مرغمين بعد أن حاولت السيارة الإسراع فأطلق عليها الرصاص، فخافوا سوء العاقبة وأوقفوا السيارة وسارعوا بإنزالي منها، وهكذا أنجاني الله من هذا المحب وجنبني مصيرا غامضا.

وفي ملهى البوسفور حيث الرقص والغناء والطرب كان القدر يرتب مأساة أليمة، فقد كان هناك حب من طرف واحد، حب تلميذ، وكنت أنا

بنت الثالثة عشر.. أي قبل أن يكتمل تكويني الأنثوي، ولم أعرف هذا الشاب كعاطفة وجدت طريقها إلى قلبي، بل اصطدمت به كشبح اعترض طريق حياتي مرتين، وحرمني من الرقاد الهنيء واليقظة الهادئة لفترة من الزمن، كما سبب لي عذابا في نفسي بلا ذنب ولا جريرة، كان حبا من طرف واحد. قبل أن ألتحق بفرقة رمسيس بشهرين أو ثلاثة، كنت أغني في ملهى البوسفور، وبعد الغناء كان أحد الرواد وهو شاب صغير وسيم وكان زعيم شلة الطلبة وكنت أتحاشاه ولكني كنت أحاول إرضاءه بابتسامة عابرة.. وبدأ يرتب أموره على أن يلتقي بي وأنا ذاهبة أو وأنا قادمة ليحييني مصافحا حتى يمسك يدي ويوقفني ليحدثني أي حديث.. ومن هذه الأحاديث القصيرة عرفت أن اسمه «س. س» وأنه طالب بكلية الهندسة، وأنه معجب بي أشد إعجاب..وتحول الإعجاب إلى غزل وإلى متابعتي أينما ذهبت، وذات ليلة جاء إليَّ منفعلا ليقول لي: "تعالي سلِّمي".. وسألته: "أسلم على مين؟".. قال: "على ماما، دي ماما هنا، جاءت خصوصي عشان تشوفك وتسلم عليكي.. هي اللي قاعدة في الركن هناك بتبص علينا.. تعالي".. وسرت معه إلى حيث تجلس والدته.. وحين مددت يدي لأسلم عليها.. أمسكت بي من يديَّ الاثنتين وأطالت النظر إلى وجهي، ثم أجلستني في حنان إلى جانبها وأخذت تتلطف معي وتقول إنها عرفت أن صوتي حلو.. وأني جميلة الشكل من ابنها.. ولكنها حين رأتني عرفت أنني أجمل من وصف ابنها لي.. ولم أجد لشدة خجلي كلمة أرد بها عليها.. وفجأة سألتني: "إيه رأيك في ابني؟ بتحبيه زي ما

بيحبك. وقلت لها بكل صراحة لأ.. ليه.. أنا مش حاتجوز إلا لما أكبر وأبقى فنانة مشهورة..

والتفتت الأم إلى ابنها ونصحته أن يفكر في مستقبله. وأجابها ببساطة: "بحبها يا ماما".. فجعلتها هذه الكلمات تحاول إقناعي بأن أقبل خطوبة ابنها لي. وتمنيني بالمستقبل الباسم الذي ينتظرني حين يتخرج ويصير مهندسا ويتزوج مني وأكون أنا حرم المهندس بدلا من متاعب الفن وما سوف يسببه لي سهر الليل كل ليلة من إرهاق لصحتي وجمالي.. وكانت تتكلم وأنا أبحث عن وسيلة لأهرب من الاستماع إلى هذا الحديث وأخيرًا قلت لها.. طيب يستنى لما أكبر وأتجوزه.. قلت هذا لأخلص من حديث كان أكبر من فهمي ومن سني، وفرح الشاب واعتبره وعدًا مني وأخذ يحضر كل ليلة إلى الملهى ومعه أصدقاؤه.. ويحاول بكل طريقة أن أجلس إلى جواره أطول وقت ممكن ولكني كنت أتهرب من الجلوس معه وأترك الملهى بسرعة.. فابتدأ يرسل أصدقاءه خلفي ليروا أين أذهب بعد مغادرتي الملهى وعادوا إليه يخبرونه أنني أجلس وقتا طويلا مع رجل قصير أصلع الرأس.. وتوهم أنني مغرمة به وأراد أن يريح نفسه من عذاب الشك فجاء إلى قهوة الفن وسألني وكأنه صاحب حق عليَّ، بتحبي الراجل ده؟ فأجبته أحب مين؟ دا فيه فرقة بيعملوها وعايزني فيها وبصراحة أنا مش حاتجوزك ما تتعبش نفسك.. وانصرف وفرحت وظننت أنني قد تخلصت من إلحاحه.

واختفى عن نظري ولم أسمع عنه شيئا إلى أن أتى من أبلغني بأن تلميذ الهندسة خرج إلى رحلة للصيد ثم أطلق بندقيته على رأسه ومات، وأن دم ذلك الشاب في عنقي، كما أن والدته تختتم كل صلاة لها بالدعاء عليَّ. وتملكني رعب قاتل.. تصورت أنني قاتلة، وظللت أياما لا يهنأ لي عيش ولا يطيب لي رقاد حتى لفتت حالتي نظر أحد الفقهاء الذين كانوا يعلمونني تلاوة القرآن لأجيد الإلقاء.. هؤلاء الفقهاء الذين أحضرهم عزيز عيد.

وفي طفولتي أحببت الحب الروحاني المتسامي، فقد عشت في حي الأباصيري، وتشربت نفسي بذكر الله وكنت أنزوي في ركن من مسجد الأباصيري وأردد مع المنشدين آيات القرآن الكريم، وهكذا كانت روحي متعلقة بالحب الكبير، الحب السامي حب الله عز وجل. وقد سألني أحد هؤلاء الفقهاء: "مالك يا فاطمة؟" فقلت له: "قتلت واحد"، وذعر الشيخ وقال: "قتلتيه إزاي؟".. فرويت له القصة؛ فأخذ يبث الطمأنينة في نفسي ويفهمني أن الأعمار بيد الله، وأن لكل أجل كتاب، وأنني لا أتحمل أي مسئولية لأنني لم أقدم للشاب عهدا وخنته، ولا طمعته وغدرت به، وأن دعاء الأم لن يترتب عليه أي سوء لي لأن الله يعلم الغيب وخفايا الأمور ولن يعاقبني عن ذنب لم أرتكبه؛ فهدأت نفسي.

تعودت بعد ذلك أن أجلس مع عزيز عيد في قهوة الفن وهو يناقش إبراهيم المصري ومُحَمَّد تيمور وأمين صدقي، لأن محاولة عزيز عيد كانت إقناع الغير برأيه إلى أن جاء دوري حين قدمني إليه الأستاذ مُحَمَّد تيمور

قائلا، إنني أقدم لك هذه الموهوبة الصغيرة.. ولما تحدث معي في بساطة منحني قدرا كبيرا من إعجابي بنفسي وجعلني، أفضل الجلوس معه على أي شيء في دنياي الصغيرة.

عزيز عيد أستاذي

وقد كان تعرفي بعزيز عيد أول مرة في قهوة الفن؛ فقد رأيته يسير بمصاحبة مارد طويل أنيق، فضحكت ضحكة عالية ساخرة تجمدت على شفتي عندما شاهدت دلائل الاحترام من كل الموجودين بالمقهى.. الكل يحترمون من ضحكت ساخرة عند رؤيته، سألت من بجانبي من يكون هذا الرجل القصير الذي استرعى وجوده الجميع؛ فأجابني أنه المخرج عزيز عيد.. كان هذا قبل حدوث مأساة الشاب.. وعدت وسألت: "ومن يكون هذا الرجل العملاق الأنيق"؛ فأجابني أنه الكاتب المسرحي الذي ترجم عن الفرنسية أكثر من مائة مسرحية أتم تمصيرها وأعدها إعدادا رائعا إنه أمين صدقي.

ولقد نقلني عزيز عيد من دنياي الصغيرة إلى دنيا أخرى تزخر بالفن والمعرفة.. دنيا مليئة بالعلوم والثراء والشخصيات العالمية. لقد وجدت نفسي بين زملاء من الممثلين والممثلات، شخصيات عظيمة في الفن، وفي التمثيل، وعلى رأسهم الأستاذ يوسف وهبي ابن الباشا الذي ضحى بكل شيء من أجل الفن، وكان هذا حدثا اهتزت له الأوساط الفنية، والأستاذ عزيز عيد المخرج العبقري في مسرح رمسيس عام ١٩٢٣ وكان يوسف وعزيز يختاران ٢٠ رواية عالمية. في كل موسم وكان طبيعيا أن يعجب في بعض الزملاء، ولكن إعجاب عزيز عيد كان كبيرا.

وإعجاب عزيز عيد يرجع أولا وأخيرا لأنه اكتشف في الموهبة الطبيعية

وعرف بروحه الفنية، إن هذا الغزال الشارد، لو أحسنت قيادته وأحسن توجيهه، وشرب من منهل الفن الصحيح، فإنه سيكون له شأن عظيم على المسرح المصري.

وهنا احتواني واستأثر بي عزيز عيد، حتى يقف كل معجب عند حده، وكان بنفسه يختار لي القصائد الشعرية من القديم كشعر أبي العلاء المعري مثلا:

الموت باب كل الناس تدخله
يا ليت شعري بعد الباب ما الدار
وإني وإن كنت الأخير زمانه
لآت بما لم تستطعه الأوائل

والشعر الحديث كأشعار شوقي حتى أتعود على الإلقاء والنطق الصحيح، وكان يطلب مني أن أقف على المعنى دون القافية ليكون الإلقاء طبيعيا والرسم وكنت في ضيق منه، ولكنه أقنعني أن الرسم يهذب الذوق، ويوسع الخيال، والإلمام به يزيد المرء إحساسا بالجمال، وصار يصحبني إلى مشاهدة الفرق الأجنبية في دار الأوبرا، وجميع أنواع التمثيل من غناء وتراجيديا، وكوميديا، ودراما، وأيضا الحفلات الغنائية المصرية التي كان يحبها الأستاذ مُحَمَّد عبد الوهاب والسيدة أم كلثوم في مسرح رمسيس يومي الجمعة والأحد من كل أسبوع سواريه..

ويقول عميد المسرح يوسف وهبي: "بينما كنت منهمكا في تكوين فرقة رمسيس قدم لي الفنان عزيز عيد فتاة في عمر الزهور وقال لي باسما

هذه الصغيرة منولوجست ومن أسرة كلها فنانات وقد شاهدتها تلقي أغانيها اللطيفة بثقة وقدم ثابتة.. بهرني جمال الفتاة وأخذت بابتسامتها الحلوة وتقاطيعها العربية الأصيلة وتفحصتها باهتمام فإذا بها رغم صغر سنها ذات قوام أبدعت الطبيعة في تنسيقه وتمتاز بعينين واسعتين تخفي وراء مظاهر السذاجة أنوثة متدفقة وبريقا وذكاءً حادا.

– ما اسمك يا صغيرتى؟

– فاطمة رشدي..

أجابت بدلال وبنبرة صوت موسيقي حار..

كان صديقي عزيز يحبني وكأنه واثق من حكمي مقدما، أخفيت فرحتي بها فهي فتاة مصرية رائعة الجمال والمظهر ستلحق بفرقتي بينما كنا نمني النفس أن نعثر على فنانات مصريات، فقد كان المسرح في مصر يفتقد إلى الجنس اللطيف. وبدأت التدريبات وقد أسندنا للفنانة الجميلة الصغيرة دورا يتناسب مع سنها في مسرحية الافتتاح رواية المجنون.. ومن أول جملة ألقتها أيقنت أنني عثرت على تحفة ذات مواهب تريد أن تتفجر.

ونجحت فاطمة في دورها في المسرحية، وتساءل الحضور من تكون هذه الصبية الرائعة.. ثم جاءت بعدها مسرحية "غادة الكاميليا" فلعبت دور نيتشيت فملأت المسرح فرحا وظرفا، وكنت أراقبها من الكواليس فقلت لنفسي سوف تقوم هذه الصغيرة يوما ما بدور مارجريت جوتييه بطلة المسرحية.

وكانت فاطمة تقفز على درج المجد قفزا وتلاقي في كل دور تؤديه ما تستحقه من تصفيق جمهور رمسيس، ووصلت فاطمة إلى البطولة عندما تركت السيدة الفنانة روزاليوسف فرقة رمسيس العتيدة بإغراء بطانة السوء التي كانت تحيطها والتي كانت تحيك للفرقة الناجحة شباك الفشل وتغري كلما سنحت لها الفرصة نجمة رمسيس باستغلال مركزها كبطلة.

وها أنا أمام الفنانة فاطمة رشدي في أول بطولة لها في مسرحية "الطاغية"، وقد لعبت فيه دوراً جبارًا فنالت أعظم نجاح مما دفع بطانة البطلة السابقة – وكلهم من الصحفيين – إلى شن هجوم عنيف على النجمة الصاعدة، ولكن هيهات أن يخدع الجمهور بالنقد الهدام المغرض. وكان هتاف الجمهور يدوي باسمها كل ليلة. ثم تربعت على قمة المجد في مسرحية "النسر الصغير"، ولعبت دور "سارة برنار" مع فرقة رمسيس بدار الأوبرا. وتألقت في العديد من الأفلام السينمائية كالطريق المستقيم والعزيمة وبنات الريف. ولولا نجاح ألسنة السوء في الوقيعة لظلت فاطمة رشدي حتى اليوم بالمسرح الذي يفتخر أنها كانت من أفراده المؤسسين. وكان في مقدور فاطمة رشدي الفنانة أن تعيش كعظيمات النجوم بما كان تحت إمرتها من أموال ولكنها – وهي الفنانة الأصيلة – قد أنفقت، بل ضحت بعشرات الألوف من الجنيهات لتواصل رسالة المسرح العربي، ولكنها قدمت بفرقتها عشرات المسرحيات أمثال مصرع كليوباترا، ومجنون ليلى وسالومي، ورغم كل هذه السنين ظلت فاطمة رشدي البنت البكر لمسرح رمسيس ومفخرة من مفاخره.

وكان عزيز عيد يجلس أمامي بالساعات يشرح لي أدق المواقف التمثيلية في المسرحيات العالمية التي كنت أشاهدها، ويقارن لي بين اتجاهات المسارح المختلفة سواء كانت محلية أو عالمية، ويبين لي أن الفن الصحيح ليس فيه مسرح قديم ومسرح حديث، بدليل أن روايات شكسبير تمثل منذ مئات السنين ويتم إخراجها في دول متعددة، كل في اتجاه ولكن صلب الفن، أو خلاصة العبقرية المسرحية لا تتغير، لأنها روايات عالمية تلمس حبات القلوب مهما تعددت الجنسيات وتنوعت أذواق الجماهير، ويتوقف هذا كله على الروح التي تسيطر على من يقوم بهذه الأدوار، ويتقمص الشخصية المطلوب تقمصا كاملا، فسارة برنار كانت تمثل أدوار الشباب حتى دخلت إلى السبعين عامًا، وكذلك سيسيل سوريل والممثل العبقري زاكوني وغيرهم، كانوا يقومون بتمثيل جميع الأدوار وجميع الشخصيات مع تفاوت السن، ولكن العبقرية والروح الفنية والموهبة والنبوغ هي التي كانت تسيطر عليهم في المسرح وتجعلهم يتقمصون الدور المطلوب حتى يخيل للمشاهد أنه يرى الحقيقة بعينها، وعندنا في مسرح رمسيس قامت الفنانة روزاليوسف بدور الصبي دافيد كوبر فيلد ذي الإثنى عشر عاما في رواية الذهب، ونالت من النجاح والتصفيق ما يجل عن الوصف، لماذا؟ لأن روزاليوسف بعبقريتها وشفافية روحها الفنية، تقمصت دور ذلك الصبي وأصبح المشاهد يرى بعيني رأسه وعن يقين أن من يقوم بهذا الدور ليس روزاليوسف السيدة، بل دافيد كوبر فيلد نفسه وقد تقمص روزاليوسف الفنانة.

وسرح بي خيالي للحظة استعرضت فيها كل هذه المواقف، وتساءلت:

كيف يمكنني أن أصل إلى هذه القمة، وكم من الأعوام والسنين كي أصل وأرضي أستاذي العبقري الذي اختارني دون الجميع؟، ولكن عزيز عيد وما كان يتمتع به من أصالة فنية، ويستكشف الروح لدرجة أنه يعلم ما يتوارد علي من أفكار هزتني بعنف وصاح بي قائلا:

– فاطمة، أنت حاجة ثانية، سأجعلك تقفزين في مدة قصيرة جدا لا تتجاوز سنة أو سنتين، وسأجعلك ملكة على المسرح.

ولكن هل وقف إعجاب وحب البعض لي عند هذا الحد، لا.. وكما قالت السيدة روزاليوسف.. "هام أحد الكتاب بالسيدة فاطمة رشدي فلما رفضت فاطمة هذا الهيام شن عليها حملة عنيفة، ولم تمض أيام حتى قابلته فاطمة صدفة في أحد الشوارع فقذفته بسيل من الشتائم على مسمع من الجميع".

وأخذ عزيز عيد يثقفني، وفعلا أحضر لي المدرسين لتعليمي، كما أحضر لي بعض الفقهاء من الأزهر لتحفيظي القرآن الكريم حتى أكون على بينة تامة من فن الإلقاء. هذا بخلاف ما خصصه لى عزيز عيد من وقت لتعليمي فن الإلقاء. ولا أستطيع أن أسرد كل ما علمني عزيز عيد من فن الإلقاء أول ما علمني وأنا صغيرة، علمني أن الجمل لها بداية ونهاية، أي أن الابتداء والانتهاء يكون بوضوح تام، والاستفهام التام، والاستفهام التأكيدي والجملة التي لم تنته، والجملة الاعتراضية، وعلامة التعجب، ويكون الإلقاء مستمرا دون توقف لا معنى له أو بطيء لا معنى له، بحيث يكون الإلقاء طبيعيا متماشيا مع شخصية الدور والاندماج في الشخصية

بدون تكلف، وتكييف الجمل طبقا للعوامل النفسية لدرجة أن الممثل ينسى نفسه وتتلاشى شخصيته حتى يعيش في دوره، هذا العمل التكتيكي يضاف إلى التجويد والإبداع حتى يجعل المتفرج يحس أنه أمام حقيقة على مسرح الحياة، لا على خشبة المسرح، وعندما كنت أتضايق وأنا أمثل باللغة العربية، كان يصيح بي عزيز:

– لما تحتاري يا فاطمة في تكييف الجمل، حوليها إلى العامية وقوليها ببساطة لأني كنت في هذا الوقت لا أجيد القراءة ولا الكتابة لأنني لم أذهب إلى مدرسة، ودخلت المسرح وأنا لم أتجاوز العاشرة من عمري.

وكان عزيز عيد يقول لي:

– أولا يجب أن تقرأي الرواية وتفهمي شخصيتك والشخصيات المحيطة بك. وأن يلتزم الفنان بإيصال صوته للجمهور بطريقة طبيعية لأن الفن هو الطبيعة لا الصراخ وإعلاء الصوت.

ومرت سنتان وصرت الممثلة الأولى بفرقة رمسيس، ومثلت فيها بعض الروايات العالمية مثل توسكا وغادة الكاميليا والنسر الصغير والطاغية الجبار أمام يوسف وهبي. ويوسف وهبي شخصية فريدة قلما يجود الزمن بمثلها، فإذا عددنا ما يتحلى به يوسف وهبي من صفات نجد أن من النادر أن تجتمع كل هذه الصفات في شخص واحد. وعندما كنت أمثل أمامه كان تمثيله يجعلني أندمج في دوري.. لماذا؟.. لأنه فنان أصيل بكل ما في هذه الكلمة من معان، فنان بروحه، فنان في ضميره إذا تكلم أنك تشعر أمام نموذج من الرجال الأفذاذ يشدوا إليهم انتباه الناس كأنهم أمام

ساحر، فتطغى شخصيته الفذة على كل الموجودين مما يجعلهم يشعرون ولأول وهلة أن المكان خال إلا من يوسف وهبي..

وهذا ما حدث في المسرح المصري، فإذا قلنا المسرح في مصر.. ظهر لنا يوسف وهبي كالعملاق يهدر في رواية راسبوتين، بيومي أفندي، والعاشق في غادة الكاميليا في بدء حياته الفنية، ثم الأب المحافظ العطوف، بعد ذلك القديس في رواية كرسي الاعتراف، العواطف الكامنة المحبوسة في رواية الأخرس وغير ذلك مما لا عدد له من روايات تقمص يوسف وهبي شخصياتها المتعددة النواحي بفضل أصالته الفنية المتأصلة فيه.

ويوسف وهبي، إنسان بطبيعته فإذا ما قلنا أنه إنسان فهذا يعني أنه نصير الفقراء فكم وقف بجانبهم في رواياته، لقد ترك يوسف وهبي العز والجاه في شبابه وتحدى عائلته العريقة ووهب أمواله للمسرح لينصر المظلومين وليرفع شعلة الحق على خشبة المسرح عالية.. لقد عملت مع يوسف وهبي في بدء حياتي الفنية في مسرح رمسيس، لقد كان أخا وأبا ومعلما لجميع أفراد فرقة رمسيس، لم يكن يبخل بمال في سبيل تقديم أرفع المسرحيات، لم يعبأ بالإرهاق والتعب ما بين البروفات نهارا والتمثيل ليلا، علمنا النظام والدقة في العمل، لقد كان رفع الستار في مسرح رمسيس إيذانًا ببدء التمثيل معناه معرفة الوقت لمن يريد ضبط ساعته.

وكما صال وجال يوسف وهبي في ميدان المسرح، جال وصال أيضا في ميدان السينما، فهو أول من عمل فيلما ناطقا وهو فيلم أولاد الذوات، وكثيرا ما يظهر في أفلامنا السينمائية أخيرا لا كبطل ولكن في دور

صغير يطغى به على الأبطال، لأن العبرة بالكيف وليست بالكم. إن فضل يوسف وهبي على النهضة المسرحية والسينمائية عظيم، وهذه العظمة لا تظهر إلا مع الرجال، والرجال قليلون.

□

لم أكن أدرك معنى الزواج

إن نجاحي وما لقيته من إعجاب من رواد المسرح كان سببا في تزاحم المعجبين. أما من ناحية المعجبين والمحبين فقد كان طابعها اللهو البرىء، وسرور الذات الذي يبعث على التفات المعجبين والمحبين وبذلهم للهدايا برضاء لجلب البهجة إلى نفسي.. أما بالنسبة لطالبي الزواج فلم أكن أدرك معنى الزواج والرابطة التي تتولد منه من حقوق وواجبات متبادلة ومشاعر متوافقة بين طرفيه تتحدد في الحب والجنس. والتوافق الروحي والجسماني وما يبعثه من متعة لها طعمها الخاص، لم أكن قد عرفته بعد؛ لهذا كانت علاقتي بالعشاق والمحبين وطالبي الزواج هى علاقة «شقاوة أطفال» تعني المرح البريء فقط. أما اللذة التي كنت أستمتع بها فهي لذة ممارسة التمثيل على خشبة المسرح أمام الجمهور والنجاح اليومي المتصاعد.

أما بالنسبة لعلاقتي بعزيز عيد، فقد كان بالنسبة لي هو الإله رع لقدماء المصريين مبعث الحياة وسرها، هو السر، وفي كلمة واحدة هو الطموح. وإذا كان عزيز عيد أستاذ المسرح، فقد كان أستاذاً في سحر الحديث وعذوبته والتغلغل بواسطته إلى أعمق أعماق القلب.

أما ماذا كنت بالنسبة لعزيز عيد؟ فقد كنت بالنسبة له "جالاتيا" للفنان بيجماليون. كنت ذلك الشيء الحي الجميل الذي يبذل له من عصارة فكره ومن تجاربه وروحه الفنانة الصادقة، ومن أعصابه المرهفة ودمائه الحارة وعواطفه الجياشة ليجعل من ذلك كله الشيء الجميل، الذي

هو أنا، جمال الفن الذي يعلو بالإنسان عن بقية الكائنات. فإذا كان الفنان قد أحب نتاجه من الأشياء غير الحية، فلا غرابة في أن يتوله عزيز عيد بنتاجه الحي؛ ففي أوقات الراحة القصيرة من عناء التدريبات، حيث يجد عزيز نفسه خاليا معي.. كانت تتكشف مشاعره في مداعباته العاطفية وملاطفاته الحبيسة التي أخذت تتزايد وتتصاعد.

وقد اعتكفت فترة عن حضور البروفات بالمسرح؛ فعادني جميع الزملاء والزميلات عدا عزيز عيد، فلما أحاط به الزملاء يسألونه أجابهم: "أنتم تعلمون مدى إعزازي لفاطمة وما تعنيه بالنسبة لي".. قالوا له: "لماذا لا تتزوجها؟".. أجاب بأنه يريد ولكن هل ترضى فاطمة به؟.. فأشاروا عليه بأن يطلبني للزواج وهم واثقون بأنني سأقبل.

جاء عزيز يزورني في البيت وطلب مني الزواج.. لم يكن في ذهني أي مفهوم عن الزواج سوى الشكل.. مأذون يرتدي عمة ووثيقة عقد القران، وفرح يضم ناس مرحين مستبشرين، ولكني كنت سعيدة جدا يومها لا أستطيع التعبير عن مدى حدودها.. حقيقة زواجي من أستاذي عزيز عيد بعد إشهار إسلامه.. وحتى حين حضر المأذون وكتب وثيقة عقد القران.. لم يكن في ذهني أي معنى مفهوم للزواج، لأن حضور الشيخ أبو عمة والورقة التي كتبها.. هو شيء رسمي حدث.. سيكون في إمكاني البقاء إلى جوار عزيز طول الوقت الذي يعجبني.. دون أن أتعرض لضرب أمي، حين يسرقنا الحديث ويعود بي إليها في ساعة متأخرة لأن أمي لم تكن تحب هذا الرجل الذي تزوجت منه، وأنا أعذرها في كراهيتها له، حتى بعد أن

أصبحت أنا نجمة مسرحية وسينمائية.. قلت: أعذرها في كراهيتها له.. لأن كل أم يكون لها ابنة في مثل سني المبكرة وحتى لو كانت عادية الجمال تكره أن تزوجها رجلا في سن أبيها.. فقير لا يملك إلا مرتبه.. ولو غضب عليه صاحب العمل وقرر الاستغناء عنه لأصبح عاطلا عاجزا عن كسب قرش واحد.. لا.. كل رأسماله.. كان في عقله وعبقريته ونبوغه وحاسته الفنية.. وهذه القضاة لا يشتريها إلا كل صاحب فرقة تمثيلية عنده مال.. وإذا فهذا الزواج كان من وجهة نظر أي أم صفقة خاسرة يجب البعد عنها، ولكن هو القدر، أو هو النصيب.

النشر الصغير وبطلة لمسرح رمسيس

ومن ذكريات الفنان الأستاذ فرج النحاس عن أيام عمله بمسرح رمسيس قال:

"لقد جمعتنا مرة إذاعة صوت العرب وذلك لتسجيل بعض أجزاء من مشهد من رواية يوليوس قيصر وكنت ألقي خطبة مارك أنطوني لشكسبير؛ ففوجئت بالزميلين الفنانين فرج النحاس وعلي رشدي في حالة شرود فكري وذهني، وعندما انتهيت من التسجيل وأفاقا من شرودهما اندفعا نحوي وقالا بصوت واحد: "نقلتينا من دار الإذاعة إلى مسرح رمسيس فجأة".. واستطرد الأستاذ فرج النحاس قائلا: "إنك دائما رائعة في أدوار الرجال، لقد مثلت دور أنطونيو أحسن التمثيل وفي دور هملت وصلت فيه إلى ذروة القمة وما كان أحلاك في دور الفتى توتو، وكذلك كنت رائعة في رواية روكامبول.. أما رواية "النسر الصغير" فإن لك فيها جولات وصولات لا يمكن أن تنسى أبدا، لقد برعت في أدوار الرجال في جميع الأنواع من تراجيديا إلى كوميديا إلى دراما إلى فودفيل. لقد نقلتيني يا فاطمة إلى مسرح رمسيس فجأة.. إني أتذكر الموسم المسرحي، وعاد بشرود ذهنه إلى موسم عام ١٩٢٦/١٩٢٧ كانت هناك فتاة يافعة متوهجة متوثبة تنفجر على مسرح رمسيس حرارة وحيوية وحماسا وفنا، تلك هي بطلة الفرقة فاطمة رشدي. لقد كانت تلك البطلة ذات السبعة عشر ربيعا تقوم ببطولات يعجز عنها عتاة الفنانات. كنت في هذا الوقت

طالبا بالمدرسة السعدية الثانوية بالجيزة وهاويا في مسرح رمسيس أقوم بأدوار تمثيلية لها وزنها دون أجر وبحكم هذا الوضع فقد عشت مجريات الأمور في الفرقة وأحداثها في هذا الوقت. ولقد كان من أغرب الأمور وأكثرها دهشة بالنسبة لي أن تتزوج الفتاة اليافعة المفرطة الفتنة رجلا في سن أبيها إن لم يزد، وزاد من دهشتي أنها تعشقه، نعم لقد عشقت فاطمة رشدي عزيز عيد فتزوجته عشقت فيه فنه وعلمه وطموحه وعبقريته ثم عشقت فيه روحه الشفافة كفنان أصيل، نعم فهو عشق الطموح للعبقرية. وكانت لفرط حبها للفن لا تنام إلا لماما وباقي وقتها لا تشغله إلا بالدراسة وحفظ ومراجعة أدوارها التي كانت كلها باللغة العربية الفصحى. وبالإضافة إلى ذلك فقد كانت تتلقى دروسا من المختصين في التاريخ واللغة العربية والأدب العربي والموسيقى وغيرها. لقد كانت في نفس الوقت الذي تقوم فيه بدور البطلة تذاكر دورها في مسرحية "النسر الصغير" وهو دور شاق. كانت تنام في الساعة الثالثة صباحا أو الرابعة وتصحو في الساعة السابعة لتذاكر دورها إلى ما بعد العاشرة وبعد ذلك تحضر البروفة بالمسرح من الحادية عشر صباحا إلى الثانية بعد الظهر.. ثم توالي مراجعة دورها إلى أن يحل موعد رفع الستار في تمام الساعة التاسعة إلا ربع مساء.. وخلال كل هذا وفي الأسبوع الأخير من بروفات مسرحية النسر الصغير كانت تستمر البروفات من الحادية عشر صباحا إلى الثامنة مساء ثم تستأنف بعد السواريه من الواحدة إلى السابعة أو الثامنة من صباح اليوم التالي. يا له من مجهود شاق عسير لا يقوى عليه عتاة الأشداء من الرجال.

ومسرحية "النسر الصغير" تتلخص في أن هذا النسر هو ابن نابليون

بونابرت النسر الكبير من ماري لويز ابنة إمبراطور النمسا الذي كان رئيس وزرائه مترنيخ وهو شخصية تاريخية مشهورة. وكان ابن نابليون طموحا كأبيه يريد أن يستعيد مجده، يريد أن يهرب من النمسا الذي كان يحدد إقامته فيها مترنيخ الذي كان عدوا لنابليون مهزوما منه حتى لا يعبد ابن نابليون مجد فرنسا فتشتعل الحروب بين الدولتين وهو طبعا ما لا يريده مترنيخ.. وكانت تتنازع روح النسر الصغير وتمزقها بحكم نشأته ومولده عاطفته لأمه النسوية وعاطفته لأبيه إمبراطور فرنسا.. ولكنه كان طموحا يتوثب إلى استعادة مجد أبيه والهروب من النمسا إلى فرنسا لهذا الغرض.. ولكن عيون مترنيخ لم تمكنه من ذلك فأحبطت المؤامرة في اللحظة الأخيرة.. وكان النسر مريضا بصدره فصدم صدمة كبيرة أودت بحياته.. الدور يحتاج إلى مجهود شاق وانفعالات نفسية مضنية وتعب لا مزيد عليه وبالرغم من هذا فقد كانت فاطمة رشدي فيه في أوجه مجدها وفنها بالرغم من مشاق العمل والجهد الكبير ولتحضير لما بعد هذه المسرحية من أعمال.

هذا ما أذكره في الفترة التي كانت فاطمة رشدي فيها بطلة لمسرح رمسيس".

وأكمل الأستاذ علي رشدي هذا الحديث الممتع قائلا في سنة ١٩٢٨ أحضر دالياني مدير فرقة الكوميدي فرانسيز للعمل بمسرح الكورسال، وكان من ضمن ريبورتوار الفرقة تمثيل النسر الصغير، وطلب دالياني من السيدة فاطمة رشدي تمثيل الرواية لأن ممثلة الدور في فرنسا الشهير فيراسرجين ترغب في مشاهدة الممثلة المصرية التي تضطلع بالدور،

وعرضا فعلا المسرحية وبعد مشاهدتها لفاطمة في الدور صممت على حذف الرواية من الريبورتوار وقالت: "في مصر ممثلة تلعب الدور أحسن مني".

وكان من الطبيعي أن يقنع العملاق الذي يجيد فن الحديث عقل وقلب الصبية فاطمة وتتفانى في تلبية رغباته وتسارع إلى تنفيذ أوامره، وتخصه بأحاديثها وسهراتها. كأنه نوع من التعبد في محراب ذلك المعبود الجليل، حتى إذا ما قيل لها لقد أصبح من المحتم عليك أن تتزوجيه.. رضيت بلا مناقشة أن تتزوجه وبدون أن تسأل.. لماذا؟

ولكن هل عاش هذا الزواج؟.. أصبحت الممثلة الأولى لمسرح رمسيس لمدة ثلاث أعوام. وأصبحت كبيرة ممثلات الشرق، أصبحت ملكة على عرش القلوب، قلوب الجماهير التي أحبتني في مصر وفي جميع البلاد العربية التي زرتها، وكان الكل يتبارى لإرضائي من ملوك ورؤساء دول وشخصيات عالمية ومن الشعب الذي كان في نظري هو المحب الأول والمعجب الأول، لأني خلقت من الشعب، وبه وصلت إلى القمة، فلن يركبني الغرور لأن الفنان الأصيل لن يكون جحودا مهما ارتفع ومهما تفتحت له الدنيا، لكل هذه الأسباب صممت أن أهب حياتي ونفسي ومالي للفن.

وفي هذا الوقت الذي ظننت فيه أن مصيري قد ارتبط بفرقة رمسيس شاءت الظروف أن تغير طريق مسيرتي وشكل الحركة المسرحية بشكل عام. ولندع السيدة أمينة رزق تحكي هذه القصة: "حينما انضمت فاطمة رشدي

إلى مسرح رمسيس نشب بينها وبين زينب صدقي صراع، وحدث أن كنا نمثل مسرحية «النسر الصغير» وكانت فاطمة تقوم بهذا الدور. وفي مواقف المسرحية كان النسر يلفظ آخر أنفاسه.. والمشهد حابك.. وكل الموجودين على المسرح صامتين في لحظة تمثل جلال الموت وفي تلك اللحظة شهقت زينب صدقي أو يبدو أنها أرادت أن تتثاءب رغما عنها فوضعت يدها على فمها لتمنع نفسها فشهقت على الرغم منها فاعتقدت فاطمة رشدي أن زينب صدقي تسخر منها واعتبرت هذه الحركة إهانة لها. فلما نزل الستار حدثت بينهما مشادة عنيفة تدخل فيها يوسف وانضم إلى جانب الحق وقال إن زينب لم تقصد إهانة فاطمة فغضبت فاطمة وانسحبت من الفرقة وحلت محلها زينب صدقي وذهبت فاطمة فكونت فرقة خاصة بها مع عزيز عيد وقام بين الفرقتين تنافس شديد.

ويكفي أن أقول إن الفرقتين كانتا في أغلب الأحيان تقدمان رواية واحدة على مسرحين مختلفين، وكان الزحام على أشده على شباك التذاكر، وكان الجمهور لا تكتمل متعته إلا إذا شاهد المسرحية الواحدة من الفرقتين، وقد أدى ذلك إلى عملية مضاربة بالممثلين فكل فرقة تسعى للحصول على الممثل «فلان» بزيادة في المرتب. وكانت حركة مسرحية لم أشهد لها مثيلا في حياتي"..

هكذا حملت عبء العمل كممثلة أولى في مسرح رمسيس لمدة ثلاث سنوات، وهو المسرح الذي أرسى دعائم الفن الحديث بفضل صاحبه وممثله الأول الأستاذ يوسف وهبي والمخرج الأستاذ عزيز عيد، حيث تم

نقل الروائع العالمية إلى الشعب، وكان زملائي وزميلاتي الذين تحملوا معنا عبء هذا العمل هم الأساتذة حسين رياض – أحمد علام – استفان روستى – مختار عثمان– حسن البارودي – فتوح نشاطي– أمينة رزق– زينب صدقي، وغيرهم. وبعد أن انفصلنا أنا وعزيز عيد من مسرح رمسيس كونت فرقة فاطمة رشدي وكانت تضم بعض ممثلي فرقة رمسيس وكثيرين من هواة المسرح، واستأجرنا لذلك مسرحا بجوار مسرح رمسيس ولكن كان ينقصنا المال.كانت هذه أول صدمة أواجهها في عملي وفي حياتي الفنية خاصة أنها أتت بعد اليسر والبغددة التي كنت فيها في فرقة رمسيس. افتقدنا المال، فتعذر علينا سداد أجور الممثلين حتى النقود اللازمة لضروریاتنا لم نجدها، وانصرف من حولنا الأصدقاء واعتراني القلق فلم أكن قد تعودت على مواجهة الإملاق.. بعكس عزيز الذي كان قد اعتاد اضطراب العيشة. ثم أمكننا تدبير بعض المال لنسافر بفرقة صغيرة إلى رأس البر، وبعد هذه الرحلة حضرنا إلى القاهرة من رأس البر على وعد وموعد مع صديق تطوع بأن يساعدنا بقرض.

وفي موعد ومكان الالتقاء بكازينو «الكيت كات» التقيت بدلا من هذا الصديق الذي «زاغ» المليونير «إيلي» ولم يخطر على بالي قط في ذلك الوقت أن هذا اللقاء مع مسيو إيلي سيكون له الأثر الكبير على حياتي الشخصية وعلى مستقبل حياتي الفنية وتكوين فرقة كبيرة تضم كبار الممثلين والممثلات كان وراء تكوينها حب عظيم – قصة حب للحب – الحب السامي – الحب المترفع – الحب الذي يغدق بسخاء من القلب والجيب دون انتظار أي مقابل.. وهل طرق باب قلبي هذا الحب؟...

لست أدري.

كان المسيو إيلي متوسط الطول، ممتليء الجسم، وسيم الوجه، منظره مهيب، ذا شخصية توحي بالاحترام واعتزاز بالنفس وكبرياء مع بساطة وسلامة في السلوك، ورغم أنه كان يناهز الستين من عمره إلا أنه كان يتمتع بصحة جيدة وأعصاب رجل المال القوية. كان يمتلك بنكا بأسره. وكان لبنكه فروع في ليفربول والولايات المتحدة وباريس.. كان يكسب في البورصة مليون جنيها في لحظة دون أن تبدو على وجهه أي لمحة انفعال، وكان يخسر في البورصة مليون جنيها في لحظة أخرى دون أن تهتز أعصابه. كان رجلا أعطى لعمله ما يستحق من جهد وأعطى لنفسه وروحه ما تشتاقه من متعة وسرور، فلم يقصر في عمله ولم يبخل على نفسه.. وكان يتمتع بثقافة واسعة، ويجيد ست لغات، وكان من المعروف عنه أنه لا يتميز في معاملته مع النساء عن معاملاته مع الرجال.. ولكن عندما التقيته وجدته رقيقا مهذبا ودمثا.. ما يكاد يراني حتى ينهض واقفا ولا يجلس إلا بعد أن أجلس. ولد هذا الحب في ملهى الكيت كات عندما التقيت أول مرة بالمسيو إيلي..

أعود فأقول إنني عندما التقيت به في كازينو «الكيت كات» وعرف بأزمتي المالية فوجئت به يسارع لمساعدتي وتقديم المال اللازم لعمل فرقتي بدون حساب وبدون أن يسألني عن أي شيء. وهو أيضا الرجل المهذب عفيف الخلق؛ فقد كان يودعني ويستقبلني باحترام كبير دون أن تلمسني يده.. حتى دون أن يطلب مني موعدًا آخر.. ودون أن يسمعني كلمة

غزل.. حتى كان يوم افتتاح الفرقة، فحضر ليراني ليهنئني بنفسه على افتتاح الفرقة وليقدم لي بعد نزول الستار على المسرحية ومشاهدته لها هدية ماسية قيمة.

وليؤكد لي أنني أستطيع دائما الاعتماد على معونته المادية.. وقد كان صادقا إلى حد أنه ضحى في سبيلي وفي سبيل السينما والمسرح – الذي كان ينعته دائما بالبئر – ثروة تقرب من نصف مليون جنيها.. أكلها كلها.. جنيها جنيها. وقرشا قرشا ولم أقتن من هذا المبلغ إلا كلمة مكونة من خمسة أحرف.. هي كلمة «المجد».

قد لا يصدق البعض أن المسرح والسينما وفرقتي المسرحية قد ابتلعت كل هذا المبلغ الضخم، ولكنها الحقيقة!!.. وتناثرت الشائعات الكاذبة؛ فالناس عادة تكون أراؤهم من الظواهر مستنتجة ما شاء لها خيالها، وكان لابد لهذه الإشاعات والأقاويل أن تخترق أذن عزيز عيد وتطرق رأسه.. وفي جلسة خاصة، فاجأني عزيز عيد بأن الناس تقول الكثير عن علاقتي بالمسيو إيلي، ولذلك فهو يرى أن الحل الوحيد هو الطلاق.. أردت أن أدافع عن نفسي، ولكن عزيز قاطعني بحدة بأن الناس لها الظواهر، وصمم على رأيه في الطلاق.

تألمت جدا وأحست أنني سأنفصل عن عزيز، ولم أكن مستعدة لتصور حدوث مثل هذا الشيء، ولكن عزيز بادرني بأنه رغما عن حبنا فهو يعلم أنني أعشق التمثيل فهناك الرابطة المقدسة التي تجمعنا وتربطنا إلى الأبد وهو الفن والمسرح.. وفي الحقيقة أن عزيز كان حبه ومعبوده الأعلى هو الفن والمسرح لا تتطاول إليه زوجة أو معشوقة. وتم الطلاق.. وضع المسيو إيلي أمواله تحت

تصرفي.. أغترف منها ما أشاء وأقدمها بالتالي لتمويل فرقتي الكثيرة التي بدأت على مسرح دار التمثيل العربي.. وأخذ عزيز يعمل ويبتكر؛ ففي خلال سبعة أشهر قدمنا خمسة عشر رواية جديدة لأول مرة. وعندما توافرت له الأموال الكثيرة في فرقتي الأولى أوجد الإمكانيات اللازمة ليثبت دعائم المسرح الحديث وينطلق به. فقدمت فرقة فاطمة رشدي الكبيرة في ثاني موسم لها أكثر من خمسة عشر رواية كبيرة من جميع الألوان.

ارفع.. ارفع.. ارفع.. انزل.. هذا هو النداء الذي تكرر لأكثر من عشر مرات وفي كل مرة يرتفع الستار استجابة لتصفيق وتحية الجمهور الحارة الذي عبر عن إعجابه الكبير بالفرقة الجديدة في أولى حفلاتها التي اكتملت فيها كل عناصر الإخراج والتمثيل، لدرجة جعلتهم لا يشعرون أنهم يشاهدون مسرحية. بل يعيشون دقائقها وشخصياتها.. وكان ذلك أعظم تدشين لمولد فرقة فاطمة رشدي الكبيرة التي ضمت أكبر مجموعة من نوابغ ممثلي المسرح مثل: حسين رياض، منسى فهمي، بشارة واكيم، عباس فارس، فؤاد شفيق، استفان روستي، أحمد علام، عبد المجيد شكري، علي رشدي، فؤاد سليم، سريتا إبراهيم، مرجريت نجار، أمينة مُحَمَّد، فيوليت صيداوى، وإبراهيم. كما كان الأوركسترا جميعه من الأجانب. وكذلك المناظر كانت من تصميم لومباردي ولارتيشيا، والميكانيست كان إيطاليا؛ فالفن لا يعرف وطنا ولا جنسية ولا بيئة سوى أن يكون إنتاجا ناجحا فنيا وماديا مما يشرف وطني في الداخل والخارج. ولا عبرة بالوسائل وكان العصر الذهبي للمسرح.

رحلاتي إلى أوروبا

أعود إلى الحديث عن المسيو إيلي فأقول إنني قدرت ذلك المليونير ومعاملته الرقيقة معي، كان يدعوني في بعض الأوقات للسفر معه إلى أوروبا بعد انتهاء رحلات الفرقة إلى الأقطار العربية. فكنت أسافر معه واستمتع في رحلاتي بسعادة كبرى لأنه كان يوفر لي كل وسائل الراحة على أرقى المستويات، ولأنه حقق لي مشاهدة أفخم دور الأوبرا.. وكل أنواع المسارح، والمسارح الاستعراضية.. وكنت في ذلك كله أرضي غروره الشخصي وحبه بأن أحقق له استمتاعه الكبير بأن يراه أصدقاؤه من الأغنياء والأثرياء والعظماء في الخارج وهو ينتقل في أنحاء أوروبا بصحبة شابة صغيرة فاق جمالها فاتنات جميلات أوروبا بلا مبالغة أو غرور.. هى الشابة التي أحبها لشخصيتها فقط.. لا لأنها فاطمة رشدي. عندما زرت فرنسا أحببتها.. وكنت قبل ذلك أحبها من الروايات العالمية التي كنت أمثلها، وكانت أغلبها مترجمة عن المسرح الفرنسي مما جعلني أحب فرنسا فعشقتها وعشقت أمجادها ومتاحفها وحروبها. وتعاطفت مع آلامها وآمال شعبها.. وتعبت لطول ما شقيت بمحنها ومحن شعبها.. من خلال التسجيل التاريخي لحياة الشعب الفرنسي العظيم الذي خلده كبار كتاب فرنسا المسرحيين العظام.. فقد مثلت النسر الصغير، وغادة الكاميليا، وتوسكا.. وغيرها وعشت هذه الأدوار وما فيها من أمجاد.. ورأيتني أستقل إحدى البواخر العظيمة من ميناء الإسكندرية لأذهب إلى قلب مدينة النور.. باريس، لا لحفظ أدوار أو بروفات.. ولا لصداع يشج الرأس قسمين

لاستحالة موازنة الإيرادات والمصروفات.. ولا لتوتر أعصاب من المطالب التي لا تنتهي.. ولا لمسئوليات الفرقة ومشاكلها.

كنت أحلم بالاسترخاء والراحة الهدوء النفسي.. ومررنا على فينسيا بإيطاليا.. أي البندقية. جوهرة البحر الأدرياتيكي. في باريس كنت أزور دور الأزياء الباريسية المشهورة.. كارفن وغيرها.. كما كنت أزور محال المجوهرات.. وأحمل منها ما أشاء.. وفي الأوقات التي تسبق مواعيد العشاء.. كنت أجلس مع ملوك المال.. مع المتحكمين في البورصة وسوق الأوراق المالية.. ولكني نسيت كل هؤلاء الأشخاص رغم تعدد جلساتي معهم.. ولا أذكر ثوب باريسي واحد أشتريته.. ولا ثبت في ذهني منظر حلية من كل ما اشتريته من باريس.. ومع ذلك.. فإنني أذكر بالكامل كل التفاصيل.. سهرة سهرتها عند مستنجيت معبودة باريس وقتها.. وجوزفين بيكر ومدام بتر فلاي التي شهدتها في أوبرا باريس، أذكر كل مسرحية شاهدتها في مسرح الجران جينيول. ومن كل هذا يتضح لكم مدى عبوديتي لفن المسرح.

ومن باريس ذهبت إلى إنجلترا وأقمت في فندق ريتس وهو من أفخم الفنادق هناك.. وما كنت أعتقد أنني سأترك في مستقبل الأيام رباطا يربطني دائما وعلى البعيد بإنجلترا ولندن بالذات.. فما كنت لأتخيل أن طفلتي الصغيرة عزيزة ستكبر وتعيش هناك، ولكنها هي الظروف والأحداث.. وما حدث معي في إيطاليا.. وتكرر معي في باريس.. تجدد في لندن.. فقد رأيت قصر بكنجهام ورجال الحرس يمرون والموسيقى تعزف وتطرب لها الأسماع.

وقد رأيت روايات شكسبير في لندن. وكيف أنساه وقد عشت معه طويلا في هاملت. وتذكرت دوري في يوليوس قيصر وهو دور أنطونيو.

ولا أستطيع أن أنسى دار الإذاعة البريطانية.. الدار التي تحتفظ لي بتسجيلات إذاعية أكثر من أي دار أخرى، وبالمناسبة فقد مثلت أكثر من دور من أدوار الرجال، دور قيس أمام زينب صدقي في دور ليلى، حتى أن عيني دمعتا ليلة تمثيل المسرحية الخالدة «مجنون ليلى» على الرغم من هذا الاختيار غير الطبيعي، فقد وصلت فاطمة في هذا الدور إلى قمة حسدها عليها الممثلون الرجال. إلى حد أن أمير الشعراء قال يومئذ: لو كنت أعلم أن فاطمة رشدي تمثل دور قيس وبهذه العظمة لسميت المسرحية «مجنون قيس».

حضر بعض مصوري شركة فوكس موفيتون لتصوير أهم معالم القاهرة وكان من ضمنها تصوير بعض الأعمال المسرحية وحضروا تمثيل رواية مجنون ليلى، وبعد أن شاهدوا الفصل الأول لم يصدقوا أن مخرج المسرحية مصري وطلبوا مقابلته وبعد تعرفهم بعزيز عيد، ورغم أنهم سمعوا منه أنه مصري لم يقتنعوا؛ وذلك لروعة الإخراج وأخيرًا ليقنعوا أنفسهم بأن عزيزًا ليس مصريا قالوا إنه شبيه في الشكل بسيسيل دي ميل.

ولا أنسى الاستقبالات التي نعمت بها في إنجلترا، كنتيجة طبيعية لما كتبته الصحافة البريطانية عني كأعظم فنانة.. ولا أستطيع أن أنسى خدمات الناقد المسرحي مستر بارير وكتابته عني في صحف لندن. كذلك لا أنسى الصحفي المصري الصديق ميخائيل قرياقص. كما لا أنسى

مسارح بريطانيا العتيدة خصوصا المسارح الخلوية التي تعمل من الثانية بعد الظهر إلى السادسة مساء، ولا حديقة لندن التي تعد عرضا للأفكار البشرية على اختلاف مستوياتها. حديقة "هايد بارك".

وقبل أن أستطرد جريًا مع الأحداث والناس أتوقف قليلا لأرد على تساؤل يتبادر إلى الأذهان، وهي كيف كانت العلاقات حينئذ بيني وبين مطلقي عزيز عيد، وبيني وبين المسيو إيلي.. وكذلك كيف كانت العلاقات بين عزيز عيد والمسيو إيلي.

كان عزيز في ذلك الحين يبلغ من العمر حوالي الخمسين، وكان المسيو إيلي قد ناهز الستين، وكما سبق أن قلت كان عزيز يصب عواطفه وفكره في فنه، وكان يراني جمالا حيا فنيا تسعد به الروح وينأى عن الجنس الذي إذا تدخل يشوه الإحساس الروحي والمتعة الوجدانية. أما المسيو إيلي، فهذا الرجل الذي أتاح له ثراؤه وشخصيته المالية الدولية الاختلاط بمختلف الجنسيات ومعاشرة مختلف الفراشات ذات الألوان المتعددة الهائمة في سماء المجتمعات التي تردد عليها، فقد كنت بالنسبة له شيئا آخر لم يسبق له أن ارتاده. كنت بالنسبة له الطفلة الجميلة البريئة التي لم تعرف بعد زيف المجتمعات الغنية من اصطناع في المظاهر والشكل وتكلف وتنسيق غث في الأحاديث والسلوك.

كان يعاملني بحنو زائد، ويهتم بي كما تهتم الأم بوليدها، وفي الأوقات التي كان يحادثني فيها عن الحب وعواطفه المحبة كانت تغرق عينيه بالدموع تأثرا معبرتين عن إحساس مشاعره نحوي. وكان المسيو إيلي منشغلا في

أعماله، لم يكن يحضر إلى المسرح سوى حفلتي السواريه يوم السبت والأحد لمشاهدة العروض والالتقاء بي، وفي هذه الأوقات فقط كان يلتقي عزيز عيد فيتبادلان الحديث باللغة الفرنسية عن المسرح، والاتجاهات الفنية الحديثة، وعما ينوي عزيز أن يفعله في الروايات التي سيعرضها، ونشأت صداقة بينهما محورها اهتمامهما بالفنون.

وقمت بتشكيل فرقة فاطمة رشدي الكبيرة، فقدمت في سبع مواسم شتوية وسبع أخرى صيفية روائع التمثيليات المترجمة عن روايات عالمية ومؤلفة لكبار الكتاب والشعراء في مصر.

ويستطرد الفنان فرج النحاس عن ذكرياته عن بعض الروايات في فرقة فاطمة رشدي قائلا: "إنني لا أزال أذكر رواية يوليوس قيصر التي أشرك عزيز عيد الجماهير فيها حيث وضع لها ٢٦ منظرًا ما بين الصالة والمسرح، وقامت فاطمة رشدي بدور أنطونيو، وفي الوقت نفسه كان يقوم مسرح رمسيس بتمثيل نفس هذه الرواية وكان الأستاذ يوسف وهبي يقوم بدور أنطونيو أيضا. وفي الموسم المسرحي عام ١٩٢٩/١٩٣٠ كانت السيدة فاطمة رشدي قد أنشأت فرقة كبيرة باسمها وكان مخرجها الفنان العبقري عزيز عيد، وكنت أنا مازلت طالبًا أستعد لدخول البكالوريا وكان مقررًا علينا سنتها مسرحية يوليوس قيصر تأليف شكسبير كما كنت أعمل في الوقت نفسه ممثلا بمسرح رمسيس.

هذه المسرحية عرضت بمسرح رمسيس في الوقت الذي عرضت فيه بفرقة فاطمة رشدي، وقد كان الزحام على أشده لمشاهدة هذه المسرحية

في كلا المسرحين وقد قام الفنان العظيم عميد المسرح يوسف وهبي بدور أنطونيو في المسرحية بينما قامت السيدة فاطمة رشدي بنفس الدور في فرقتها.

وكانت المقارنة بين المسرحيتين تدور وقتها في الشوارع والمقاهي والنوادي والمدارس والمصالح والهيئات في كل مكان. لقد وصلت المقارنة إلى المناظر والملابس والإكسسوار والإضاءة والإخراج والأداء حتى الأدوار الصغيرة والمجاميع. وكان إقبال الطلبة أكثر على هذه المسرحية لأنها كانت مقررة في هذا الوقت على طلبة البكالوريا التي كانت تسمى وقتها رسميا شهادة الدراسة الثانوية قسم ثان. وقد أقامت فرقة فاطمة رشدي حفلات نهارية مجانية للطلبة معاونة لهم على الدراسة، وكان ذلك سببا في تسميتها بصديقة الطلبة. مثلت لهم يوليوس قيصر فأظهرت كيف أن التعاظم والغرور يؤديان بصاحبهما إلى الدمار، تعاظم وغرور يوليوس قيصر، وكيف أن المكر السيء لا يحيق إلا بأهله. مكر كاشيس وتآمره مع المتآمرين وكيف أن حسن النية والانقياد إلى المؤامرة دون التحقق وبمجرد التشكك بحجة المثل العليا فقط ينطوي على أسوأ النتائج.

لقد كانت فاطمة رشدي تنفق على مسرحياتها ببذخ شديد وتكلفها تكاليف طائلة في المناظر والملابس والماكياج والإكسسوار والموسيقى ومرتبات الممثلين فقد ارتفع في هذا العهد مرتب الممثل الشهري من ثلاثين إلى سبعين وثمانين جنيها للممثل الكبير وذلك بفضل المنافسة بين الفرقتين.. كما اشتد إقبال الجمهور عليهما بشكل لم يسبق له مثيل ولكنها

بالرغم من هذا لم تغطي الإيرادات المصروفات وتكاليف الفرقة ولو كانت قد اقتصدت بعض الشيء في هذه التكاليف للزمن لكانت فاطمة رشدي الآن صاحبة ثروة كبيرة ولكنها أضاعتها كلها في سبيل الفن وفي سبيل مسرح مصري عربي، حتى لأجزم أن ممول الفرقة وكان وافر الثراء قد ضج وآثر الانسحاب والإفلات بجلده قبل أن يفلس تماما. كل هذا في سبيل شيء واحد حبها للفن والمسرح وطموحها لخلق مسرح عربي أصيل عالمي في أدبه وكيانه وأهدافه".

إلى هنا وانتهت ذكريات فرج النحاس عن هذه الفترة.

منافسة شديدة

أخرج عزيز عيد رواية هملت لشكسبير، وقمت بدور هملت وكان حدثا فذا حيث وضع في صدر المسرح وبعرضه شاشة تمثل وجهي، والأحداث تتوارد على ذهني حتى أن فرقة أتكنز العالمية وهي المختصة بروايات شكسبير هنأت عزيز على هذا الإخراج العبقري، وأعجبوا بي إعجابًا شديدًا.. كيف أن امرأة تقوم بدور هاملت تبز فيه الرجال.

وكانت المنافسة شديدة بين الفرقتين المتزعمتين للحركة المسرحية في مصر حتى أن فرقتي فاطمة رشدي ورمسيس كانتا تعرضان أسبوعيا نفس الرواية الواحدة؛ فمثلا في رواية الوطن كانت فرقة رمسيس قد أعطت دورًا مهمًا تراجيديًا للممثل الكبير جورج أبيض أما فرقة فاطمة رشدي فقد أعطت نفس الدور إلى الممثل الكوميدي بشارة واكيم، ولكن عبقرية عزيز عيد جعلت بشارة واكيم ينقلب من ممثل كوميدي إلى ممثل تراجيديا وينجح فيه نجاحا منقطع النظير.

وكذلك في رواية الكابورال سيمون اشتركت الفرقتين في تمثيل هذه المسرحية في أسبوع واحد فقام بدور الأخرس كل من يوسف وهبي وعزيز عيد ونجح عيد نجاحا عظيما حتى خيل للجمهور أنه أخرس بطبيعته. وكذلك رواية المائدة الخضراء.

هذه بعض أمثلة للروايات العالمية ومدى نجاحها مما دفع شوقي وأثار

حماسته، حين رأى المسرح الجاد، المسرح الموجه، المسرح التعليمي، فخص فرقة فاطمة رشدي بالروايات الشعرية مثل: مصرع كليوباترا، مجنون ليلى، علي بك الكبير، أميرة الأندلس، وكان حدثا فنيا، إذ للمرة الأولى في تاريخ المسرح العربي تمثل فيه روايات شعرية، لأمير الشعراء أحمد شوقي.

وقد نحا عزيز عيد نحوا جديدا في إخراج هذه الروايات الشعرية فلم يكن الممثل يقف في نهاية البيت أو المقطع، بل كان يقف على نهاية المعنى ويلاحقه الآخر بالتكملة حتى أن السامع يخيل إلى أنه يسمع موسيقى وليس شعرا.

ورغم الجهد المضني الذي حملته فرقتي، والمسئوليات الجسام التي وضعت على أكتافي كصاحبة فرقة وممثلتها الأولى، فقد طرقت المجال السينمائي، وكانت مصر في أول عهدها بهذا الفن الجديد، فأنتجت ومثلت فيلمي «تحت ضوء الشمس، و«الزواج» وأول من عمل جريدة سينمائية إخبارية.

لقد عشت في دوامة واسعة من شتى الانفعالات فقد كان يقتضي وضعي – كصاحبة فرقة – العمل المتواصل لمدة ست عشرة ساعة أو ثماني عشرة ساعة ما بين البروفات وماتينهات وسواريهات ومراجعة الحسابات والمصروفات والإيرادات والإعلانات وشراء الموبيليا وحفظ أدواري، عدم جود وقت كاف للنوم أو الراحة التي ينم بها أى فنان أو عامل في فرقتي، لذلك كنت في غفلة عن المعجبين الذين كانوا يحيطون بي كالفراشات أمام الضوء.

فكيف كنت أشعر بحب هذا الهاوي الولهان بينما لا أحس بالمعجبين من ذوي الشخصيات البارزة لشدة ضغط العمل علي فاعتقد هذا الطالب

أنني أتجاهله لصغر سنه أو لتفاهة شأنه عندي في حين يراني أتلطف بالحديث مع بعض أصدقائي الصحفيين وكبار الشخصيات التي تدخل المسرح، وآه لو علم الحقيقة فقد كنت أتمنى لو تمددت بثياب التميل على خشبة المسرح لأستريح من المجهود المضني البدني العنيف وأنني لو كنت فعلتها لنمت نوما عميقا بلا غطاء وفي لألأة الأضواء القوية لأنني وقتها عشت محرومة من كل راحة ونوم. ولم يفهم ذلك وظن أنني ضننت عليه حتى بابتسامة وأنه أحب الحب اليائس.

وحضر لي في أحد الأيام وقال لي إنه مقدم على عمل خطير؛ فخفت من حدوث مأساة أخرى – لشاب آخر – فتلطفت معه، وأرضيته بابتسامة رقيقة قائلة له: "أنت تحبني كفنانة، وأنا أبادلك هذا الشعور فنحن إذن محبان جمعنا حب الفن. إنني أعيش للفن فإن كنت تحبني وتحب الفن؛ لماذا لا تنسى الحب بدراسة الفن لتصبح فنانا أحب فنه فدرس أصوله"، وكان ما أشرت به وسافر إلى أوروبا.

ومن العجيب أن كل من قام بيني وبينهم هذا الإعجاب والحب كان أغلبهم من العظماء أولهم مليونير، وثانيهم مليونير، وثالثهم مليونير.. الأول ذكرت لكم قصته.. أما الثاني فهو في أثناء كفاحي في فرقة فاطمة رشدي كان مسرحي ملتقى العظماء والشخصيات العالمية والفرق الأجنبية المشهورة التي أعجبت بتمثيلي للروايات العالمية التي كانت تقدم به. وقد قامت مجلة المصور ببحث عن عظماء العالم، وكنت من ضمن هؤلاء العظماء، ونشرت بجانب هندنبرج رئيس جمهورية ألمانيا قبل حكم هتلر.

وكنت موضع اهتمام الصحافة الأجنبية وكثيرا ما أدليت بأحاديث صحفية عن النهضة المسرحية في بلادنا. حتى أن شركة فوكس موفيتون الأمريكية أرسلت مندوبا خاصا ومعه مصور سينمائي والتقطوا بعض مشاهد من تمثيلي علاوة على حديث دار بيني وبين الأستاذ زكريا الشربيني المحرر بجريدة الأهرام وقتئذ.

وكان من نتيجة عرض هذا الريبورتاج في أوروبا أن أعجب بي صاحب مصنع أسلحة وهو ألماني؛ فعند زيارتي للنمسا للاستشفاء ثم ذهابي إلى ألمانيا لتكملة العلاج تعرف بي هذا المليونير. وكان قد رأى صورتي في أحد المجلات السينمائية، ثم صار يكتب لي كثيرا من الرسائل يحدثني فيها عن نفسه وعن عمله وعن رغبته في الحضور إلى مصر ليراني.. واستمر حبه لي مدة طويلة لم تنقطع فيها رسائله عني. ولا أكتمكم أن هذه الرسائل كانت تسبب لي متعة ونشوة كبيرتين، وفوجئت بمصرعه بيد النازي فتأثرت تأثرًا كبيرًا.

أما المليونير الثالث فكان كوننا أبلغني أحد أصدقائي برغبته في أن يراني ويتحدث معي لكي نتعارف لأنه أحبني، ولم يكن لدي وقت لأنني كنت مشغولة بفرقتي الكبيرة، ولكنه لم ينس أبدا أن يرسل إلي باقة ورد كبيرة من نوع فاخر مع كل افتتاح جديد لمسرحية.. وكانت هذه الباقة عندي بمثابة رسالة غرامية أتلقاها من حبيب يترجم حبه لي على البعد ترجمة بليغة بلغة الورود والزهور.

بين نارين.. الحب والمسرح

عشت بين المنافسة في الحب والمنافسة في المسرح. هذه المنافسة التي كانت قائمة بين فرقة رمسيس وفرقة فاطمة رشدي، ولما انتهى الموسم الشتوي قررت أن لا أحرم البلاد العربية من مشاهدة أعمالنا المسرحية فسافرت مع فرقتي إلى بيروت وركبنا الباخرة التي ما أن وصلت إلى ميناء بيروت حتى وجدنا الميناء وقد امتلأ باللنشات تطلق صفاراتها ترحيبا بمقدم باخرتنا ويهتفون باسمي وباسم الفرقة وباسم الفن وهم يحملون باقات الورود والأعلام تعبيرا عن حبهم العميق..

وقد شاهد هذا المنظر الفريد الاقتصادي الكبير المغفور له طلعت حرب «باشا» الذي كان من ركاب الباخرة التي حملتنا إلى بيروت وقد سر جدا لهذا الاستقبال الحماسي الرائع مما دفعه إلى أن يقبل على مهنئا.

وتعتبر هذه الرحلة أول رحلة إلى البلاد العربية. وقد استمتعت بالإعجاب من رؤساء تلك البلاد وكان أول من قابلني رئيس جمهورية لبنان وقال: "إحنا بنقدر جهودك يا سيدة فاطمة في سبيل المسرح". وقد كنت موضع إعجاب وتقير من عاهل كبير لإحدى الدول العربية.

وعند وصولنا وعلى بعد خمسة كيلو مترات من العاصمة وجدت جمهورا كبيرا في استقبالنا وعلى رأس المستقبلين رسول من العاهل العظيم، واستقبال عاهل كبير للفنانين كان أبلغ دليل على ما وصلنا إليه من تقدير

واحترام؛ فكلنا الآن نرى الممالك والدول تتسابق في تكريم وتخليد فنانينا في كافة الميادين. المهم أنها هزت مشاعرنا جميعا نساء ورجالا، فنانين وعاملين أن نشهد موجات عارمة من حب خالص عظيم من كل طبقات الشعب العربي الشقيق وجميع الجاليات الأجنبية لأن بعض الروايات كانت عالمية وفتحت لنا القصور وقبلها القلوب؛ فقد كانت دعوات حفلات التكريم تلاحقنا تباعا.. دعوات لو رتبناها لكي نلبيها لاستغرقت منا أعواما؛ فكيف أنسى هذا الحب الدافق الحار.

وهناك حدثت لي حادثة لا يمكن أن أنساها، حين دعينا لعمل حفلة تمثيلية بحديقة القصر الملكي فقد أحسست فجأة ببحة في صوتي فطلبت من أحد خدم القصر قليلا من الشاي الساخن، وكان يلبس جاكيت أبيض وبنطلونا أسود، وكذلك كان يلبس جميع المدعوين تقريبا.. وغاب الخادم علي وتضايقت.. وفجأة وجدته أمامي وظهره لي، وهو يحادث أحد المدعوين ولمست يدي ظهره قائلة له: فين الشاي السخن اللي طلبته منك.. واستدار فإذا به العاهل العظيم؛ فدهشت وخجلت وقال مبتسما: "بتريدي شاي سخن سيكون جاهزا يا ست فاطمة".. ودعاني للدخول في قاعة كبيرة لشرب الشاي، وكانت قاعة العرش وسمح لي بالجلوس لأن إعجابه بفني جعله يكرمني. ثم تبادلت معه الحديث عن الفن ومكانة الفنان فكان رأي العاهل العظيم أن الفنان يعتبر سفيرا لبلاده بما يقدمه من دعاية ضخمة لها بفنه وسلوكه فالسفير يمثل بلاده في ميدان السياسة والفنان يمثلها في ميدان الحب والجمال. ولقد أعجبت بتمثيلك لأنه لم يكن متكلفا على الإطلاق بل كنت مندمجة في دورك ومتقمصة الشخصية التي تمثلينها

فيبدو تمثيلك طبيعيا وتعيشين فيه وتنعكس انفعالاتك الطبيعية فتهز الجمهور وتبهره وهذه هي صفة الممثل الحقيقي.

عظيم آخر.. أعظم شاعر في الشرق العربي أعجب بفن فاطمة، وهو أمير الشعراء شوقي، ومن هذا الإعجاب أنتج للمسرح وللأدب أروع الروايات مثل: مصرع كليوباترا، ومجنون ليلى وكان إعجابه صامتا يأتي إلى حجرتي في المسرح ويجلس، وغالبية الوقت يجلس صامتا.

وكنت أقوم بدور كليوباترا وأستعين على تأدية الدور بثعبان حقيقي صغير، وكنت أداعبه بذلك الثعبان فكان يجزع جزعا شديدا وأنا أضحك كطفلة صغيرة، وطبعا لم تكن هناك خطورة عليه من الثعبان لأننا كنا ننزع أسنانه.

وحين كنت أجلس في مقصورتي وكنت أتلقى التهاني والإعجاب من صحفي مشهور ومعه السكرتير الشرفي للسفارة البريطانية وقت ذاك. ودخل عزيز عيد ومعه شوقي، وقد تنافس الثلاثة في إرضائي وإطرائي وتهنئتي على ما وصلت إليه من فن رفيع، وقد بلغ الإعجاب بشوقي وإعجابه بي أن قال لي: "سأهديك هدية عظيمة تستحقينها". وفعلا أهداني أمير الشعراء أعظم مسرحياته الشعرية التي أحدثت انقلابا في المسرح المصري.

واشترك مُحَمَّد عبد الوهاب لأول مرة مع فرقتي حين كان يغني دور أنطونيو في المسرحية، وشجع هذا النجاح أمير الشعراء على أن يواصل كتابة هذا اللون عندما رأى حماس الجمهور وتذوقه له؛ فكتب لفرقتي أيضا

مسرحية «مجنون ليلى» ثم مسرحية «علي بك الكبير» ثم مسرحية نثرية بعنوان «أميرة الأندلس».

ومن المعجبين أيضا بفني الأستاذ أحمد جلال، وقد أهداني كثيرًا من رواياته المترجمة.. ولما كان النص المسرحي يعتبر رأسمالا لأي فرقة تمثيلية، فقد تطوع بتقديم هذه المسرحيات، وكان كناقد مسرحي يكتب باستمرار عن أدواري وعن فرقتي وأخبار نشاطها.. وهذا يعتبر حافزا قويا يدفع الإنسان إلى بذل مزيد من الجهد، ويجعله مستبشرا متفائلا.

ولمسرحية غادة الكاميليا قصة معي، حدثت وقائعها في جو هو أشبه ما يكون بجو ألف ليلة وليلة، فقد كنت موضع إعجاب لأمير شرقي ثري يكفي للدلالة على ثرائه أن أقول إن قصره الذي كان يعيش فيه تكلف مئات الألوف من الجنيهات. كان هذا الأمير، معجبا بمسرحية غادة الكاميليا، وكان يشاهد عرضها من كل فرقة فرنسية تحضر إلى القاهرة، لأنه كان فرنسي الثقافة، فلما سمع أن فرقة مصرية تمثل غادة الكاميليا أحب أن يشاهد ذلك، فحضر إلى المسرح رمسيس وحضر المسرحية وأعجبته، وأعجبته أكثر ممثلة غادة الكاميليا. وبعد فترة من الوقت أحس بحنين شديد لرؤية تلك التي أعجب بها، فحجز بنوارا بمسرح رمسيس، وذهب ليشاهد البطلة في المسرحية المعروضة.. ولدهشته وجد أنه يشاهد بطلة أخرى غير تلك التي بهرته بأدائها لدور غادة الكاميليا، ولما سأل عن اسم البطلة، وهي البطلة التي كانت تقوم بدور غادة الكاميليا، قيل له إن ممثلة غادة الكاميليا اسمها فاطمة رشدي، وإنها قد تركت فرقة رمسيس،

وصار لها فرقة كبيرة خاصة باسمها، ولا أعرف هل انتظر الأمير باقي عرض فرقة رمسيس تلك الليلة، أم انصرف بعد معرفة الجواب، ولكن ما أعرفه وما أنا متأكدة منه، أن الأمير أصبح زائرا يوميا لفرقتي وله بنوار خاص محجوز باستمرار.

ولما غلبت هذا الأمير أشواقه، طلب أن يراني كي يهنئني بنفسه لمقدرتي الفنية في أداء أدواري المختلفة، ولم يكن من الذوق أن أرفض طلبه، فجاء في ختام العرض المسرحى إلى غرفتي بالمسرح وقدم لي نفسه ووجدته رجلا في خريف العمر، إلا أنه يتمتع بروح شابة، مثقف ثقافة باريسية في رشاقة الحركة والتعبير، وتصافحنا وحادثني وكأنه يعرفني من سنين، وآنست إليه وكأني مع صديق، وأطرى أدائي لدور غادة الكاميليا، والنسر الصغير بصفة خاصة لأنه رآها من فرق فرنسية عالمية، وأنه لذلك يهمه كثيرا أن يركز إعجابه الفني بي مندهشا لممثلة هذه الأدوار الصعبة المجهدة، التي تحتاج إلى مقدرة فوق الطاقة العادية للفنان، وشكرته، فسألني عن سني، ولما عرف أنني لم أتم الثامنة عشرة بعد من عمري، حملق في بنظرات فاحصة، وإنها ليست المساحيق والدهون التي تجملني، لا ولا أضواء المسرح، ولكنها الصياغة الحقيقية للفنان الأعلى، الله سبحانه وتعالى هي التي جسدت قدرته في هذ الخلق الأنثوي، وصارحني بأن شكه في عمري أولا يرجع إلى أنه لم يعرف طيلة حياته الوثيقة الصلة بالمسرح، المسرح الذي ينظر إليه كل مثقف، على أنه إحدى الجامعات الكبرى، فإنه يعلم جيدا أن الاكتمال الفني لفنانة أو فنان لا يتحقق إلا بعد الوصول إلى سن الأربعين وأزيد، وكان هذا هو الإطراء الأجمل والأحسن، ثم تلطف

الرجل ودعاني لزيارة قصره وتناول الشاي معه في الوقت الذي يعجبني. ولبيت دعوة الأمير لتناول الشاي معه، وبحكم رحلاتي إلى الأقطار العربية والأوروبية رأيت كثيرا من القصور، ولكنني دهشت لفخامة هذا القصر وتوهمت إنه قصر ملك.

كان الأمير في انتظاري واقفا وعلى قرب منه كلبته الضخمة "شيلا" وبعد انتهاء اللقاء والمصافحة، نظرت إلى الكلبة مندهشة لكبر حجمها ودهشت أكثر حين رأيت عدة أطباق فاخرة، فيها أكل شهي للكلبة شيكولاتة باللبن والبندق، جوز، لوز، نوع خاص ممتاز من الحلوى، والكلبة جالسة على الحشائش، فجلست إلى جوار شيلا على الحشائش الخضراء ونظرت إلى الأطباق والأصناف اللذيذة غالية الثمن.. وضحكت على أنه يوجد بعض كلاب مدللة وبعضها شقي كبقية الناس والحظ هو الذي يفرق.

شربنا الشاي، ثم تأبط الأمير ذراعي وسار بي في ممرات الحديقة لنصل إلى القصر ليريه لي، كانت القنوات المائية الصناعية تنساب في شتى أرجاء الحديقة وبها الأضواء الكهربائية مختلفة الألوان، أما القصر فقد كان تحفة التحف، شيده الخديوي إسماعيل خصيصا ليستقبل فيه إمبراطورة فرنسا "أوجيني" حين تصل إلى مصر لتحضر حفل افتتاح قناة السويس، وحشد له الخديوي كل من في مصر وقتها من الصناع المهرة، والعمال، ولهذا جاءت غرف القصر من حيث الزخرفة العربية، صناعة ترغم الرائي على أن يطيل التأمل في كل شبر يراه. ثريات كأنها الشموس، أما الأثاث فكان

هو الأثاث الذي شهدت مثيله في أوروبا ثم قال لي الأمير ونحن نطوف بغرف القصر، لقد بنى الخديوي إسماعيل دار الأوبرا للإمبراطورة أوجيني لتشاهد الروايات العالمية، وأول ما افتتح بدار الأوبرا كانت رواية «عايدة» فتخيلت كأنني أسمع موسيقى أوبرا عايدة.. إننا نسير معا.. وذراعي في ذراعك، مثلما كان يسير هنا تماما من زمن بعيد، الخديوي إسماعيل والإمبراطورة أوجيني فتعالي نتخيل أننا حقيقة أنا الخديوى إسماعيل وأنت الإمبراطورة أوجيني.. إن لها قصة غريبة لعب القدر فيها دورا مهمًا.. وبدأ الأمير يحدثني عن أوجيني، قال إنها كانت إسبانية، وقد جمعتها قصة حب بمهندس إسباني، ولكن ظروف الحياة فرقت بينهما.. وحالت بينهما وبين الزواج ثم قادتها هذه الظروف إلى فرنسا وكل يسير في طريق خاص.. وبعد عديد من التقلبات استقر المهندس في فرنسا وتجنس بالجنسية الفرنسية، وعرفه التاريخ فيما بعد، فقد نال من المجد حين اقترن اسمه باسم قنال السويس.. كان ذلك المهندس هو فردناند ديلسيبس.. كذلك تقلبت ظروف الحياة بأوجيني إلى أن وجدت نفسها يوما إمبراطورة فرنسا، ولا يبعد أن يكون ديلسبس قد تقرب من إمبراطور فرنسا ليصادقه طمعا في أن يكون قريبا من حبيبة شبابه أوجيني. كما لا يستبعد أن يكون الدافع الذي دفع ديليسبس إلى التفكير في شق هذا المجرى المائي العالمي هو رغبته في أن يظل شخصا عظيما له مجده الخاص الذي يستطيع أن يزاحم به مجد الإمبراطور في مخيلة أوجيني..

وسرحت وأنا أسمع إلى هذا الحديث، وأنا أقف في شرفة من شرفات القصر المطلة على النيل، وذراعي في ذراع الأمير، وتخيلت أنني فعلا

الإمبراطورة، وهذا الذي جواري هو الخديوي إسماعيل.. خديوي مصر.. وأننا نقف في مقدمة الباخرة التي تسير في مجرى القنال.. وقد تركزت علينا عيون ملوك العالم وعظمائه.. وسرعان ما أفقت إلى نفسي.. والتفت إلى الأمير أسأله: أعتقد أن أوجيني ظلت تقرب منها ديلسبس إلى آخر أيام حياتها؟ وقال الأمير ببساطة: "لا يا فاطمة.. إن تيجان فرنسا لم تكن لتثبت فوق رؤوس المتربعين على عرشه.. وقد طارت أوجيني عن عرش فرنسا ومرت بها أقسى ظروف يمكن أن تمر بإنسان حتى وجدت نفسها ذات يوم وقد قضت نحبها في غابة فونتانبلو"..

وأفقت تماما من كل خيالاتي، ولم يعد يعجبني حتى أن أكون في الخيال إمبراطورة يتبخر مجدها هكذا سريعا وفضلت أن أكون فاطمة الممثلة التي يخلدها مجدها الفني في القلوب.. وفي الحياة، وعادت لى متعة الإحساس بالحياة والحب، ولكن الحب أنواع: الحب الأخوي. الحب الجامح الطاغي. الحب العاطفي. ولكن هناك حب العمل. حب الإنسان لمهنته. ولعمله الذي اختاره بنفسه لنفسه.. العمل الذي تفرضه عليه ظروف الحياة.. إنه العمل الذي يهواه ويضحي في سبيله حتى بلقمة العيش. والفنان الأصيل هو أشد المغرمين عشقا لعمله وأكثرهم صبابة ووله له وكم يتكلف هذا الحب من تضحيات غالية؛ ففي أحد مسارح القاهرة.. عندما قرر اقتصادي كبير إنشاء فرقة مسرحية حدد أحد الأيام لإجراء اختبار للأصوات، واختار هذا الاقتصادي الشيخ سيد درويش وعزيز عيد حكمين يؤخذ برأيهما في صلاحية الأصوات، وصلاحية الشخصية التي تتزعم الفرقة المسرحية الغنائية الجديدة.. وفي ذلك الوقت كان سيد

درويش وعزيز عيد يعانيان من الضيق المادي.. وقد انتظرا اليوم الذي سيتم فيه الامتحان ليقبض كل منهما أجر التحكيم، وبكرا بالذهاب إلى المسرح. وكان هناك ثلاثة أخوة سيمتحنون؛ فقدم أحد الثلاثة – وكان ثريا– شيكا بمبلغ خمسمائة جنيها ليكون هو الأول ومديرا للفرقة المسرحية، ولكن للأسف بعد أن سمعا أصواتهم، أمسك الشيخ سيد درويش بالشيك ذي الخمسمائة جنيه ومزقه أمامه قائلا: "يفتح الله يا عم.. وآدي الشيك بتاعك أهو".. وقام بتمزيقه أربا قائلا: "الرزق على الله والشهادة لله. لسه بدري عليكم وناقصكم تمرين". هذا هو الفنان المثالي، وليس تاجرا بأي حال من الأحوال.

وفي مسرح حديقة الأزبكية حين قدمت فرقتي مسرحية "سميراميس" الملكة الأشورية.. وكانت كل مناظر الرواية تصنع من الورق والقماش.. رأى المخرج عزيز عيد أن يقدم جديدا للجمهور؛ فبنى منظر المسرحية الذي يمثل قلعة حربية من الخشب الأبلكاج بحيث تجسدت القلعة أمام المشاهدين بناءً بارزا وليس رسما على القماش..

وكأنهما فعلا قلعة مشيدة من الصخر، وتكبدت أنا الثمن الفادح لهذا الإخراج العبقري.. المهم إنه حدث ذات ليلة وأنا على المسرح ألقي كلمات دوري بانفعال شديد وتأثر بالغ.. وعلى المسرح أمامي تمدد عزيز عيد – على الأرض قتيلا.. كما يقتضي دوره.. وإذا بي أفاجأ بعزيز وقد طغى حبه الفني على عقله فنسي أنه ميت وهو يقول لي «الله يا فاطمة.. الله.. ربنا يخليكي لنا ميت سنة». ليس عزيز وحده الذي كان مغرما بفنه.

ولكن هناك من الزملاء من كانوا يحبون فنهم ويعشقونه لقد كانوا يحضرون إلى المسرح قبل رفع الستار بساعتين كي يعيشوا في جو المسرح الذي يعشقونه. وقد قال فتوح نشاطي: "كنت أحضر إلى المسرح قبل رفع الستار بمدة كي أتمتع بجو المسرح وكانت إذا خلت الرواية من دور لنا نقوم بأدوار الكومبارس حتى لا نحرم من المسرح".

عاشقة للفن

وقد دفعني حبي للفن ولبلادي أن أنشر رسالة الفن وما أرفعها من رسالة إلى البلاد العربية وإلى الأشقاء العرب فرحلت بفرقتي إلى شمال إفريقيا وهناك قوبلت فرقتي بترحاب وتقدير لم تصادفه فرقة مسرحية من قبل فقد كنت سفيرة للفن وسفيرة لمصر في وقت واحد، وكانت تونس خاضعة للحكم الفرنسي في ذلك الوقت. وعندما وصلنا إلى ميناء تونس عزف نشيد المارسلييز ترحيبا لفرقتي، واستقبلني كبار المسئولين والمندوب عن سمو باي تونس رسميا وجمهور غفير من الشعب والصحفيين.

وعندما رغب ولي عهد تونس باي مشاهدة فرقتي جلس بين الكواليس ليشاهدني عن قرب وأنا أمثل رواية «سلامبو» التي تبين بلاد تونس «قرطاجنة» وأمجادها. وهناك تدربت على رقص الباليه على يد راقصة فرنسية من راقصات الباليه المشهورات حتى يكون إخراج هذه الرواية في إطار فني جميل. وكانت الفرق المصرية لا يسمح لها بالتوجه لأكثر من تونس وممنوع عليها دخول الجزائر ومراكش.

وكنا نقدم معظم المسرحيات المترجمة. وكذلك بعض المسرحيات العربية. ومنها مسرحية مصرع كليوباترا لأمير الشعراء أحمد شوقي ومجنون ليلى. وفي إحدى حفلات التكريم التي أقيمت للفرقة بتونس وقف أحد الممثلين خطيبا، وهاجم الاستعمار الفرنسي وندد به، وفوجئت بأحد ضباط البوليس الفرنسي

وجنديين يحيطان بذلك الممثل لأخذه فصحت وقلت مال المعتوه ده؟.. وإذا بالضابط الفرنسي ينظر إلي ويقول بالعربية "أنا لست معتوها". فتقدمت منه وتبادلنا الحديث بعنف وإذا به يصرخ في قائلا إنه رئيس المخابرات وكفى هذا وارجعوا لبلادكم. تأزم الموقف.. ورأيت أن الاصطدام بالعنف لا يجدي، وأن الرقة واللين قد تكسبنا الموقف؛ فاعتمدت على الرقة واللين، وقلت للضابط الفرنسي برقة: "أمال فين بطولة وفروسية وشهامة الفرنسيين. الظاهر إنه مجرد كلام يضعه كتابكم في القصص". وذهل الضابط من جرأتي.. وقال لي: "لكن مش معنى ده أنك تهاجميها وأسكت"، فقلت له: "أنا لم أهاجمك.. أنا رئيسة الفرقة ومسئولة عنها.. ولنفرض أن أحدنا قد أخطأ فهل تأخذ الباقين بجريمته؟".. ونظر الضابط إلى الجنديين فأطلقا سراح الممثل، ثم أمرها بالانصراف.. ثم قال لي: "أريد أن أطلع على بقية الروايات حتى أصرح للفرقة بتمثيلها". وجاء الضابط إلى غرفتي بالمسرح، وكنت قد أتممت ارتداء ملابسي.. ولاحظت فور دخوله الغرفة إعجابه بي، فابتسمت له، ودعوته ليجلس ومددت له يدي أصافحه فرفع الرجل يدي إلى شفتيه يقبلها ونظره عالق بنظري.. وفاجأته: "كيف تجيد العربية؟" فأجاب: "أنا باتكلم تونسي ومغربي وجزائري بلهجات المناطق المختلفة".. وعرضت عليه المسرحيات ليوافق عليها وفكر لحظة وقال: "لا مانع.. ولكني سأتفرج بنفسي الليلة على المسرحية من بين الكواليس".

ووقف بين كواليس المسرح ليشاهد المسرحية عن قرب.. وبعد نزول الستار عاد إلى غرفتي ليعبر عن إعجابه الفائق، وفضل أن يحضر البروفات قبل قراءة المسرحيات وجعل من إعجابه بالبروفات وسيلة لإهدائي أغلى

العطور الفرنسية، كما وجدت على المسرح في الليلة الثانية باقة ورد مهداة منه إلي، وزاد تلطفي معه لأنه كان يحترم مركزه. ولم تصدر منه لفظة خارجة أو كلمة نابية.. وبلغ من شدة إعجابه بي أن أخذ المسرحيات كلها وختمها بخاتم الدولة.. وبعد ذلك عرض علي أن يصحبني إلى دار المقيم العام بأمل أن يستطيع تقديم خدمة كبيرة لي.

كان المقيم العام أكبر سنا بكثير من ضابط المخابرات، ولكنه كان أكثر شبابا منه.. كان فرنسيا من الذين يمتازون بحرارة العواطف.. وقد دهش حين رآني، ولم يصدق أن بين المصريات من هم مثلي.. ودهش أكثر حين علم أنني قدمت بدور النسر الصغير وغادة الكاميليا.. بالشكل الذي جعل الفرق الفرنسية تعدل تماما بعد مشاهدتها لي عن تقديم هاتين المسرحيتين.. وبعد حديث لطيف وإعجاب سافر كان يصل إلى حد امتداد يده ليقرص خدي، وهو يردد كلمة "شارمانت، شارمانت"، أمر ضابط المخابرات بحجز بنوار له ليشاهد عرض الفرقة، وحضر ليلتها وشاهدني ثم تحدث مع الضابط حديثا قصيرا، ظهرت منه علامات الفرح الكبير والسعادة البالغة في وجهه، ثم تحول لي قائلا باللغة العربية: "سعادة المقيم العام صرح لفرقتك يا مدام فاطمة بالسفر للجزائر ومراكش"، وانتهزت الفرصة وقلت له أنني أريد تصريحا كتابيا في يدي، وترجم حديثي للمقيم العام الذي وافق وهز رأسه مؤكدا له قوله، وهكذا كان الحب والإعجاب والتقدير الكبير سببا في فتح أبواب تلك البلاد العربية أمام فرقتي وأمام الفرق المصرية والثقافة العربية، وكانت فرقتي أول فرقة عربية تطأ أقدامها تلك البلاد الجميلة.

مؤامرات فنية

حين بدأنا رحلتنا للجزائر صحبنا ذلك الضابط إلى آخر الحدود ليقدم لي سوارا ماسيا كبيرا تقديرا لي. وفي نهاية جولتنا في شمال إفريقيا ذهبنا إلى مراكش التي كان يغلب عليها الطابع الشرقي الأصيل بمبانيها وشوارعها وقصورها التي كانت تشبه قصور ألف ليلة وليلة. وقوبلنا بنفس الحفاوة التي قوبلنا في تونس والجزائر من قبل، بل نفس الحرارة التي رأيناها في سوريا والعراق ولبنان؛ مما ينطق بأن كل المنطقة العربية منطقة واحدة يجمعها ويوحدها إحساس واحد وثقافة واحدة وتراث واحد.

وكانت حفلاتنا في مراكز تنال إلى جانب الجزاء الأدبي من هتاف ونجاح وتصفيق نجاحا آخر ماديًا يتمثل في الهدايا الفاخرة التي كان يغدقها أثرياء مراكش على أفراد فرقتي من الممثلين والممثلات. وأدارت هذه الهدايا رؤوس الكثيرين وخصوصا رأس علي يوسف متعهد الحفلات الذي كان يرافقنا في كل جولتنا.

أراد علي يوسف متعهد الفرقة في رحلتها لشمال إفريقيا الانتقام من المرحوم عزيز عيد لتدقيقه معه في الحساب فطلب الجبلاوي باشا كشفًا من علي يوسف بتصنيف الممثلين إلى فئتين إحداهما تمنح ٢٠٠٠٠ فرنكا «عشرين ألف فرنكا» والفئة الثانية ١٠٠٠٠ فرنكا «عشرة الاف فرنكا«

ثم العمال ٥٠٠٠ فرنكا «خمسة آلاف فرنكا»، فسلم علي يوسف الكشف لسكرتير الجبلاوي باشا، وبعد حفل العشاء نوديت الأسماء وسلم كل واحد منا ظرفا به المبلغ المقدر له وأثناء النداء على العمال فوجئنا بسكرتير الجبلاوي باشا ينادي عزيزا ويسلمه ظرفا فكان ظرفًا محرجًا للجبلاوي الذي دهش لوجود اسم عزيز ضمن العمال وأن ما ناله ٥٠٠٠ فرنكا، وكان يجلس على يسار الجبلاوي فما كان من الجبلاوي إلا أن خلع خنجره المرصع وقدمه لعزيز وأمر بإحضار بعض السجاجيد العجمية الثمينة وقدمها لكل من عزيز وفاطمة، وبعد الحفل لم نجد علي يوسف الذي هرب إلى لوكاندته بعد الفصل الذي عمله انتقامًا من عزيز عيد.

وقد روى لي الفنان علي رشدي أنه في إحدى حفلات الرباط.. وكانت الستارة ترفع عادة الساعة التاسعة مساءً راحت نومة على الممثلين في اللوكاندة. وأتى علي يوسف حيث أيقظنا فنزلنا مسرعين، وكانت المسافة بين اللوكاندة والمسرح لا تقل عن نصف ساعة بالعربة الحنطور فوصلنا في الساعة التاسعة تماما وطلبنا من عبد المجيد شكري محاسبة العربتين الحنطور حتى نسرع لارتداء ملابسنا وعمل الماكياج، وكنا سنمثل رواية العباسة أخت الرشيد وكانت السيدة فاطمة قد أصيبت فجأة بنزيف شديد حاول منعها من العمل ولكنها أبت وكانت تقف خارج المسرح بملابس العباسة فنزلنا نجرى لداخل المسرح، وكان آخرنا عبد المجد شكري؛ فقالت له فاطمة: "مش عيب يا راجل يا شايب يا عايب تتأخروا وتعطلوا العمل" فدخل علينا عبد الحميد وقال: "الست بتشتمنا يا سي حسين

يعجبك".. فما كان من حسين رياض إلا أن انتزع ذقنه وتبعناه جميعا في خلع ملابسنا فدخلت علينا ورأت هذا المنظر فصرخت فينا، ولكن لم يستمع لها أحد ظنًا منا أنها شتمتنا كما قال عبد المجيد فنادت عزيزًا الذي دخل وقال: "إيه دا يا ولد أنت وهو البس قوام وبسرعة أنتم اتجننتم" فما كان منا إلا أن عدنا للبس ملابسنا وعمل الماكياج نظرا لاحترامنا وتقديرنا لعزيز..

وبعد الفصل الأول حضر عزيز ومعه فاطمة وقال: "يا حسين مين اللي قالكم إن فاطمة شتمتكم" فقلنا: "عبد المجيد" فنظر إلى عبد المجيد نظرة لها معناها وقال له: "قول هي قالت إيه" فقال إنها قالت لي "مش عيب يا راجل يا شايب يا عايب تتأخروا وتعطلوا العمل" فقال: "ودي شتيمة ولا حقيقة؟" فما كان من حسين إلا أن قام وقبل رأس فاطمة، واعتذرنا لها جميعا وزاد من تقديرنا لموقفها أن علمنا بما كانت مصابة به من النزيف ولكنها قامت بدورها رغم الحالة التي كانت عليها.

وسولت نفس علي يوسف له، ونحن في غفلة عنه أن يغري بعض أفراد فرقتي بأن ينشقوا علينا ويكونوا فرقة خاصة تنعم وحدها بكل هذا الثراء وبهذه الهدايا. وظلت هذه الفكرة تدور في رأسه طوال جولتنا بين مدن فاس والرباط والدار البيضاء إلى أن اختمرت ونحن نتجه إلى طنجة. في طنجة نجح المتعهد فعلا في استمالة أغلب أعضاء الفرقة فتمردوا علينا فعلا، بل وصل الأمر بالمتعهد إلى حد أنه ادعى بأن المناظر والملابس تخصه هو؛ فواجهه عزيز عيد بلباقة وحزم في نفس الوقت، وأفهمه أن النجاح الذي تحقق لفرقة فاطمة رشدي نلقاه ونحن مجموعة وأن الفن في النهاية

عمل جماعي لا عمل فردي وإذا كان أعضاء الفرقة المنشقين يتخيلون أنهم سيصادفون نفس النجاح وهم فرادى فهم مخطئون وأنهم سوف يكتشفون في النهاية أنهم خسروا في مراكش وخاسرون في القاهرة حين يعودون ويعرف الجميع موقفهم غير الكريم.

واستطاع عزيز أن يقضي على الفتنة ويعيد أفراد الفرقة من طنجة إلى القاهرة، أما أنا فقد استبقيت معي من أفراد الفرقة محمود المليجي وعلي رشدي وفلادمير لأنتج فيلم «الزواج» في باريس، وكان محمود المليجي هو الذي يقوم بدور البطولة أمامي في هذا الفيلم.

سافرنا من طنجة إلى فرنسا حيث صورنا المناظر الداخلية للفيلم، ومن فرنسا اصطحبت معي مصورا فرنسيا إلى إسبانيا التي كانت ولا تزال تحتفظ بالطابع العربي، والتقطنا بعض المناظر الخارجية للفيلم في قصر أشبيليه وغرناطة وقرطبة وخصوصا قصر الحمراء، وقد اشترك معي في تقطيع السيناريو علي رشدي. أما الإخراج فقد توليته أنا بمساعدة بعض المعاونين، وقد ظهرت في هذا الفيلم آثار جولتي في شمال إفريقيا.

إن ما شاهدته في الجزائر من سيطرة الاستعمار الفرنسي ومحاولة محوه للغة العربية وما شاهدته أيضا في تونس ومراكش جعلني أصر على أن أصور بعض مناظر الفيلم في إسبانيا لأبين للعرب كيف كانت لهم حضارة راقية رائعة وصلت إلى مشارف أوروبا. وبعد انتهائي من فيلم «الزواج« عدت إلى القاهرة استعدادًا للموسم السابع.

وهكذا كانت حياتي.. عمل متواصل من موسم إلى موسم.. يحتويني

الفن بكل ما فيه من مشاق وتعب وإجهاد.. حيث لم يترك لي وقت لكي أستمتع بمباهج الحياة كغيري من الناس.. علاوة على المصاريف الباهظة التي تتطلبها الرحلات المتعددة وانتقالات الفرقة في الداخل والخارج.. وإخراج المسرحيات على مستوى عال من الذوق والفن؛ مما جعل المسيو إيلي يضيق بالمسرح وينفجر كالبركان مزمجرا أنه قد كفر بالمسرح والقائمين بشئون المسرح. وأقولها صريحة إنه لولا أموال هذا الرجل ومساعداته لي لما أمكنني أن أحقق شيئا من المجد الذي حصلت عليه، ولا وصل المسرح إلى هذه الطفرة الفنية التي أرست دعائم المسرح تاريخيا في مصر والبلاد العربية. وهكذا اختلف طريقانا؛ فسار في طريقه.. وسرت في طريقي.

وفي عام ١٩٣٤ شمل الكساد المسرح وانحلت جميع الفرق وكونت الحكومة الفرقة القومية حيث طلب مني الانضمام إليها فلبيت الطلب لحبي للمسرح وغيرتي عليه، لكنني شعرت بأني لن أستطيع تأدية واجبي حياله إزاء ما شعرت به من أحقاد وغيرة وحسد وضغينة.. فتركت الفرقة غير آسفة وكونت فرقة صغيرة وبدأت عملي بها على مسرح ديانا بالإسكندرية، وقدمنا مسرحية «معركة الشباب» للكاتب المسرحي عباس علام، ثم قمنا برحلات إلى الوجه القبلي وكان معي من الزملاء الذين يحبون فن فاطمة عثمان أباظة وحسين صدقي وكوكا ممثلة السينما وأمينة نور الدين ومُحَمَّد كامل ومحمود نصير ومُحَمَّد السباعي الصغير، وعند عودتي من الرحلة تكونت مجموعة أخرى من متعهد الحفلات للعمل بالوجه البحري وضمت هذه المجموعة فاخر مُحَمَّد فاخر وفرج النحاس وسعيد أبو بكر وغيرهم، وبعد ذلك ذهبنا إلى الإسكندرية للعمل على مسرح الليسيه

فرانسيه بمجموعة ضمت فاخر مُحَمَّد فاخر ونادية السبع وحسني كلود ثم كون صديق أحد متعهد الحفلات المعروف فرقة للعمل على مسرح برينتانيا وقدمنا مسرحية «المتمردة» وكان أبطالها: محمود المليجي وحسن البارودي وزينات صدقي، وبعد انتهاء هذه الحفلات طلبني إخوان لاما للاشتراك في فيلم "الهارب" ثم دعاني المخرج الإيطالي ألفيزي أورفانيلي للعمل في فيلم "ثمن السعادة" وبعد انتهاء الفيلم جاءني خطاب من باريس من أحد أصحاب الملاهي والمسارح، يعرض علي فيه الاشتراك بتقديم بعض المشاهد المهمة من مسرحياتي المشهورة، لمدة ساعة ونصف بعنوان «فاريتي فاطمة رشدي» أى منوعات فاطمة رشدي، فاستحسنت الفكرة وسافرت إلى باريس وقمت بعمل هذه الحفلة، وقد حضرها سفير مصر في فرنسا وبعض الجاليات العربية ومندوبو الصحف الباريسية.. وكتبت عنها جريدة الأهرام، وكانت الحفلة عبارة عن مشهد من مسرحية كليوباترا وسالومي وهي ترقص وتخاطب رأس يوحنا، كما غنيت بعض الأغاني التونسية، وقد أعجب الشعب الباريسي بهذا العرض، وكنت أول ممثلة مصرية تقوم بهذا المجهود بمفردها.

وذات ليلة جاءني صاحب الملهى الفرنسي بصحبة رجل قدمه على أنه صاحب كازينو كبير في تركيا وأنه قد شاهد حفلتي وأعجب بي خصوصا في راقصة سالومي، وسلم علي الرجل باللغة العربية المشوبة باللكنة التركية.. وبعد كلمات التحية والتعارف قال لي الزائر التركي إنه يعرض علي أن أعمل في أفخم كازينو في تركيا مقابل مائتي جنيها مصريا أجرا يوميا وقبل أن تكتمل فرحتي بهذا العرض السخي.. فوجئت به أن يشترط

علي أن أرقص.. وكانت الفرحة التي ملأت كل تقاطيع وجهي اختفت كلها دفعة واحدة.. جعلت الفرنسي يسأل ضيفه بالفرنسية عن الحديث الذي سمعه مني باللغة العربية وحين ترجم له التركي ما قاله لي رأيت الدهشة مرتسمة بأكمل معانيها في وجه الرجل الفرنسي، لأنه كان يزن في ذهنه في تلك اللحظة قيمة المرأة التي تساوي رقصة واحدة ثمنها مائتا جنيها.. وظل الرجل الفرنسي ينظر إلى وجهي ليعلم ما سوف أقول..

أما أنا فقد كنت في حالة صراع فكري، لأن العرض مغري وحالتي المالية سيئة، ولكن من ناحية أخرى كانت هناك صعوبة اقتناعي بأن أتحول من ممثلة إلى راقصة.. وأخيرًا طلبت من الزائر التركي أن يترك لي وقتا كافيا أفكر فيه لأنني لا أستطيع اتخاذ قرار كهذا سريعا.. أما صاحب الملهى الفرنسي صار هو الآخر يقنعني بأن أعمل راقصة شرقية تكسب الألوف مثل مستنجنيت وجوزفين بيكر.. ولكني استمتعت بهذه الرحلة الثانية أكثر مما استمتعت في رحلتي الأولى، لأني في هذه المرة لا رسميات.. لا اتيكيت، فنادق متواضعة في حي الطلبة في حي مونبارناس، حيث المقاهي البسيطة، والكباريهات الخفيفة، والحياة البوهيمية.. وهي الحياة التي يرتاح إليها كل فنان. وصرت أصحو صباحًا لأتقبل باقات الورود النادرة غالية الثمن ومعها دعوة لتناول طعام الغذاء في مطعم باريسي مشهور«مكسيم» وغيره.. وهذه الدعوات المتكررة المتلاحقة جعلتني أتعرف على مطاعم باريس المشهورة وأيضا زيارتي لجامع باريس.. وكنت أقابل كثيرًا من المصريين والعرب وكانوا يحبونني دائما أهلا كليوباترا.. أهلا بطلة التمثيل في الشرق.. أهلا صديقة الطلبة فعادت ذاكرتي إلى أيام فرقتي الكبيرة

الأولى عندما أشار عزيز عيد بعمل حفلات مجانية للطلبة لنشر الوعي الفني والثقافي بين الشباب والطلبة، كما تذكرت تهاني الطلبة لي على مجهوداتي، وكنت أرى بينهم من يكبرني سنا وجسما، أنا بنت الثامنة عشر في ذلك الحين. لهذا عندما جاء إلي التركي يسألني عن قرارى بالنسبة لما عرضه علي.. قلت له إنني آسفة.. صدم ولم يصدق أذنيه ثم تشجع وسألني عن السبب؟ وقلت له بصراحة إن إغراء عرضه لا يقاوم طبعا لو كنت إنسانة عادية.. ولكني أعيش وأتنفس بالإعجاب الذي أراه في الوجوه.. بالأصوات المرحبة بي وهي تنساب في أذني كالنغم الجميل.. فكيف أضحي بهذه الهالة الكبيرة من هالات المجد.. مجد البطولة المسرحية والسينمائية.. وحين عرف الفرنسي صاحب الملهى ما قلته للزائر التركي.. تحمس أشد الحماس لتأييد وجهة نظري.. حتى أبقى مكاني ولا أسافر إلى تركيا.

وهنا ظهرت منافسة شديدة بين الفرنسي والتركي، كل يريد أن يجذبني نحوه: الفرنسي يغريني للعمل في ملاهي باريس كراقصة، والتركي يحاول أن يقنعني أن أغير اتجاهي من ممثلة إلى راقصة تحت إغراء المال أولا ومنطقة القوى ثانيا.

مدام فاطمة.. أنتي عشان تمثلي.. إعملي مجهود كبير.. تكاليف كثيرة.. اشتري روايات.. ادفع فلوس.. اعمل ملابس مخصوص.. ادفع فلوس.. بعدين اعمل بروفات اعمل سواريهات ماتنيهات كل ليلة.. أخيرًا جهد أعصابكم أفندم في انفعالات شديدات.. أفراح أحزان.. غضب غيرة.. هذا مهلك أفندم.. وقلت له وما نيل المطالب بالتمني.. ولكن تؤخذ الدنيا غلابا.. وأنا

أريد أن أحتفظ باعتراف الناس بي كسيدة ذات شأن في دنيا المسرح والسينما.. وقال: ارقصي مدام فاطمة.. الرقص لغة عالمية.. تكاليف الرقص بسيطة.. ترقصون أفندم تقبضون.. يراكم ملوك بترول.. عظماء.. كبارات الدولات.. جورناليست أفندم.. صحافة تكتب عنكم.. صوركم تنشر.. توضع الملايين تحت أقدامكم أفندم.

منطقه كان سليما.. فما أكثر ما تكسب الراقصة، والرقص يحظى بإعجاب كل الجماهير إذا كانت الراقصة ممتازة. أما المسرح فله جمهوره الخاص. أخذت أتعجب من وضعي في الحياة.. هنا في باريس أجدني أمام فرصة عرض تعطيني مبالغ طائلة وأرفض.. وأمام محب غني لو خرجت لحظة عن وقاري معه لجعلته يحول ثروته كلها لي، ولكني مع كل هذه الظروف أفضل ألا أتحول لا إلى راقصة ولا إلى غانية.. وأفضل أن أكون الفنانة فاطمة رشدي.. فقط.. وتشكرت لصاحب الملهى الفرنسي على كل ما فعله معي واعتذرت للتركي عن عدم تلبية عرضه.. وقررت أن أهرب بنفسي من الإغراء الخطير الذي يحدق بي حتى لا أضعف أمامه..

وعندما كنت في هذه الدوامة التي ملأت كل حواسي تلقيت خطابا من زعيم شرقي يعرض علي التوجه إلى شمال إفريقيا لعمل منوعات كالتي عملتها في باريس، وكان هو الفكرة فعزمت أن ألبي طلبه أيضا كما في السابق وذهبت إلى الجزائر لأقدم نفس العرض الذي قدمته في مدينة النور.

الشاب الجزائري

الحب الذي يتوهج بريقه في العيون، الذي يمنح المحب طلاقة اللسان ومقدرة كبيرة على سهولة إيجاد أجمل وأرق التعبيرات، الحب الذي يخلق روح الجرأة واقتحام المخاطر في الإنسان، هذا الحب لم أعرفه ولم أجده إلا في الشاب الجزائري الذي حضر العرض المسرحي الذي كنت أقدمه بمفردي طوال ساعتين، على أفخم مسرح بعاصمة الجزائر، وبعد انتهاء الحفلة أتى إلى غرفتي الشاب الجزائرى ليقول لي: "لعلك مسرورة من ترتيب الحفلة"، فشكرته على هذا الاهتمام، وبدأ يتحدث إلي بكلمات كنت أسمع نصفها ولا أفهم نصفها الآخر، ولكنني فهمت معناها، أنه قد أعجب بفني فشكرته على تلطفه بإبداء إعجابه بي، وانتظرت منه أن ينصرف، ولكنه لم ينصرف، بل قال بأنه سيتركني لأغير ثيابي، فينتظرني أمام باب المسرح، حتى يقوم بتوصيلي إلى الأوتيل، كأبسط وسيلة للتعبير عن تقديره لي، وكانت لهجته المهذبة وبراءة مظهره شفيعًا له عندي فقبلت دعوته، وأوصلني بسيارته الفاخرة ليلتها إلى الأوتيل وحياني وانصرف.

وفي الليلة التالية وجدته بباب غرفتي بالمسرح قبل رفع الستار وتقدم مني وعلى شفتيه بسمة رقيقة، قائلا إنه قد حضر إلي بأمل تقديم أية خدمة منه، ولازم باب غرفتي صامتا، لا يتحدث إلا عندما أوجه أنا إليه الحديث، وفي حدود ما أسأله عنه، ولكن عينيه كانتا تتابعان كل حركاتي، وحين انتهى العرض أخذني إلى الأوتيل في سيارته، وطول المسافة من المسرح إلى

الأوتيل، لم يتحدث إلي بكلمة، ودعني بلطف.

وقامت بيننا صداقة صامتة، وأخذت أشعر بارتياح كبير إليه وإلى صداقته وإلى وجوده إلى جانبي، بل وبدأت أترقب حضوره لأن شعوري بالغربة والوحدة كان يزول عني وأنا أراه يهتم بي، وكأنه زميل حضر معي من مصر، وفي أحد الأيام وبعد تردد أخبرني أنه يسره أن يدعوني لتناول طعام العشاء معه ومع أصدقاء له، ويرجو أن ألا أرفض طلبه، وبالطبع قبلت دعوته بسرور، واصطحبني معه إلى حي وطني بمدينة الجزائر، صارت له شهرة كبير أثناء حرب التحرير الجزائرية، هو حي القصبة، وهناك قدمني إلى مجموعة من أصدقائه، وجعلنا نتحدث وكان الكلام خلالها يدور سريعًا وباللهجة العربية الجزائرية حينا وبالفرنسية حينا آخر بحيث لم يمكنني متابعته في سهولة، وإذا بي أجد صديقي الصموت قليل الكلام قد تحول إلى متحدث سريع الكلام، يعرف كيف يجعل الموجودين كلهم ينصتون إليه واستطعت أن أفهم يتزعمهم وأنه يفهمهم أشياء ويطلب منهم عمل أشياء وهم يوافقونه على كل ما يقول، ورأيت في تلك الجلسة توهج عينيه، واشتعال جسده بالحماسة الشديدة، وحركات أصابعه وهي تنبض بقوة وعصبية، صورة أخرى تختلف كل الاختلاف عن الشاب الصامت المنطوي على نفسه، الذي عرفته وحضرت معه إلى حي القصبة وفجأة، وأثناء الحديث، الذي عرفته وحضرت معه إلى حي القصبة وفجأة، وأثناء الحديث، دخل المطعم أحد الشبان متعجلا، وقال للموجودين كلمة لم أفهم معناها، وإذا بصديقي هذا ينهض مسرعا وأمسك بيدي وجرى بي سريعا، ونحن ندخل من حارة لحارة أخرى، حتى وصلنا إلى باب أحد

المحلات التجارية ودخلنا إليه واختفينا بداخل مخزن ذلك المحل.

وحين استرددت هدوء نفسي، سألته عن السبب في هروبنا من الرستوران بذلك الشكل، فقال لي بعد برهة أن البعض يريدون أن يثأروا منه لمسائل خاصة، وأنه كان يستطيع مواجهتهم، والتخلص منهم ولكنه لم يرد أن يسبب مشاكل لصاحب الرستوران، كما أنه لا يمكنه أن يعرض حياتي للخطر، وأن اطمئنانه على سلامتي أهم عنده من سلامة نفسه، وفي تللك اللحظة، أدركت وأنا أسمع صوته وأرى لمعان عينيه، أن الإحساس بالخطر قد جعل الحب المكنون في قلبه يفصح عن نفسه ويتكلم بلغة الحب ثم ابتدرني بسؤال عما إذا كان معي خطابات أخرى مثل الخطابات الذي أوصلته له من إحدى الشخصيات العربية فأجبته نعم عندي بعض الخطابات، فلم يلبث أن ظهرت عليه إمارات الرعب الشديد، وقال لي إن هذه الخطابات ربما تسبب لك بعض المتاعب، فدهشت وقلت له لماذا أليست هذه الخطابات توصية لحفلات.. فبادرني: "أعطني الرسائل التي عندك حالا"، وأسرعت إلى حقيبة ثيابي وفتحتها وأحضرتها له، فاختطفها مني ومزقها بعصبية إلى قطع صغيرة ثم حرقها.

كنت في حالة شرود ذهني عنيف، أفقت منها ومعي في الغرفة خمسة من رجال البوليس السياسي الفرنسي، أحاطوا بي وأحضروا حقيبة ثيابي وعبثوا بكل ما كان فيها، ونبشوا كل أوراقي وفتشوا في ملابسي الخاصة، ولما لم يجدوا بالطبع شيئا ، ابتدأوا يسألوني عن سر حضوري بمفردي إلى الجزائر وقلت لهم العمل، وقالوا لي بل للتجسس وأخبرتهم إنني فنانة وكل

وقتي لفني، فأخذوا يسألونني عن علاقتي بذلك الشاب الجزائري، وعن سر صداقتي له، وسبب ذهابي معه إلى حي القصبة، وكانت إجاباتي بسيطة وصادقة، ومع ذلك استمروا في استجوابي حتى الثامنة صباحًا، ثم تركوني وأنا أدعو الله أن ينجي الشاب الجزائري من أيديهم.

ثم حضر إلي أحد أصدقاء الشاب الجزائري ليخبرني بأنه يقيم بمدينة طنجة، ويدعوني للسفر إلى هناك، وكنت في أشد لهفة لرؤية ذلك الذي خاطر بحياته لينقذني من متاعب خطيرة ومن أيدي البوليس السياسي الفرنسي، فسافرت إلى طنجة ، ولكنه لم يظهر في طنجة، والذي ظهر كان رجال البوليس السياسي الفرنسي أيضا، وقد حضر معهم رجال البوليس الإنجليزي واستجوبوني عن سر حضوري إلى طنجة، ولم يقتنعوا أبدا بأنني حضرت للعمل فغادرتها يصاحبني الضابط الإنجليزي إلى جبل طارق لاستكمال التحقيق هناك.

وبعد التحريات لم يجدوا شيئا ضدي، وقال لي الضابط الإنجليزي أنه سيهتم بأمر سفري وأنه لابد من انتظاري في جبل طارق لحين قدوم إحدى السفن لأسافر عليها، ثم قال هيا بنا لأخفف عنك بعض ما تعانيه وأدعوك لتناول فنجان شاي – فأجبته طائعة – وذهبنا إلى أحد الملاهي، وجلسنا حيث الرقص والغناء وكنت لا أحس بما يدور حولي من شدة الألم الذي انتابني عما حدث لي، ولفت نظري شاب إسباني يجلس مع شلة من أصدقائه وعندما رأى الضابط جاء ليسلم عليه.. وبعد تبادل التحية عرفه الضابط بي فحياني وشد على يدي بقوة.. واتضح أنه مصارع ثيران إسباني،

فتذكرت بعد ذلك إسبانيا ورحلاتي إليها، وطوافي بأوروبا – تذكرت معالمها الجميلة – وما أضفى عليها الشرق والغرب من جمال وفتنة، وكثيرا ما كنت معجبة بالرقص الإسباني.

وقارنت حالتي وما أنا فيه بحالتي السابقة وما كنت فيه من سرور ومتعة وتذكرت مصارع الثيران الذي دعاني لمشاهدة تدريباته على مصارعة الثيران في مزرعته الخاصة، وقد امتلأت الساحة المعدة لذلك بالأصدقاء والمعجبين من رجال القرية.. كنت موضع حفاوة أهل القرية وعندما بدأت صيحات الجميع: "أوليه .. أوليه"..

أفقت من شرودي ولكن الضابط الإنجليزي قال لي: "هلمي بنا.. لقد حضرت الباخرة هيا بنا". وأخذت الباخرة تسير، وأخذت معالم جبل طارق تختفي وأنا واقفة على ظهر الباخرة وأحسست بهدوء كمن يفيق من حلم يتخلله كابوس.. وعادت الذاكرة إلى البطل الجزائري هل هو مازال حيا؟.. هل قتل؟.. ماذا كان مصيره؟.. لا أدري.

وقد عدت من هذه الرحلة وأنا مشحونة بانفعالات شتى، لأني واجهت لأول مرة في حياتي أحداثا مليئة بالجاسوسية والمخاطر والمغامرات وكانت خاتمتها انهيار فرنسا العسكري على يد هتلر، فرنسا التي تزعمت مسارح العالم في الإخراج والتمثيل والفنون المسرحية.

لقد هزتني أحداث فرنسا لأنها منابع العبقريات والفنون، العبقرية هبة من الله لا يجود بها الزمن بسهولة، سواء كان ذلك في المسرح مثل سارة برنار التي مازال مكانها شاغرا حتى الآن أو في الموسيقى كبيتهوفن، أو في

الرسم كرفائيل، أو في الثورات والحروب كنابليون. إنها عبقريات فذة أفادت الإنسانية جمعاء. والنشيد الفرنسي المارسيليزيه الذي وضعه جندي فرنسي بسيط ألهب ثورة فرنسا، وأصبح عيد ١٤ يوليو هو عيد التحرير في كل مكان تحرير الإنسان من الذل والعبودية. وهناك عبقريات تضر ولا تفيد، مثل عبقرية جانكيز خان وهتلر اللذين أضرا العالم أبلغ الضرر. والفن مرآة الأمة، فالفن الرفيع يبرز شخصية هذه الأمة وما وصلت إليه من حضارة ورقي.

فيلم " العزيمة "

وأخيرا وصلت إلى القاهرة، ولم أكن أظن أنني سأعيش في قصة حب، وكان لها أثر كبير على السينما المصرية. كان استوديو مصر – باعتباره المؤسسة السينمائية الوحيدة – يعتزم إنتاج فيلم "العزيمة" وكان كمال سليم المخرج والمسئول عن الفيلم بالاستوديو قد رشحني لبطولة هذا الفيلم، ولما سألوا وبحثوا عني، قيل لهم إنني قد سافرت إلى باريس، فاتصلوا بالسفارة المصرية هناك فأجابتهم بأنها لا تعرف شيئا عن تحركاتي.

وبعد وصولي بيومين فوجئت بمقابلة قاسم وجدى وكان يشغل وظيفة في الإنتاج باستوديو مصر، وعندما قابلني قال لي: "لقد تعبنا في البحث عنك في مصر وكان في الخارج، المهم حمد لله على السلامة الموضوع وما فيه باختصار أن استوديو مصر اعتزم إخراج فيلم العزيمة وقد أسند إخراجه لمخرج شاب وهو كمال سليم الذي رأى أن يسند دور البطولة لك وصمم على ذلك، ولم يبق إلا أن تقابليه لإتمام كل ما يمت للعمل بصلة".. وفي الموعد الذي ذهبت لمقابلة المخرج كمال سليم الذي أخذ يتكلم وأنا من عادتي أن أستمع لمحدثي لأفهم عقليته، ولقد كان فيلم العزيمة ثاني أعماله، وتكلم كان أول فيلم أخرجه باسم «وراء الستار».

ثم قال: ومادام أنتي يا ست فاطمة بطلة الفيلم الجديد، ضرورى

حاينجح لأن كل أعمالك ناجحة، واحنا بنعتبرك رائدة من رواد السينما، لإنك اشتركتي في وضع بنائها في مصر، بالتمثيل في أفلامها الأولى، كفيلم فاجعة فوق الهرم – والهارب– وثمن السعادة – والطريق المستقيم– وكنت أيضا منتجة ومخرجة لفيلمك «الزواج» وكذلك الفيلم اللي أحرقتيه واسمه تحت ضوء الشمس لأنه لم يعجبك، أنا مش مصدق عيني. بقى كل اللي عملت الأعمال دي هي الكتكوتة اللي قدامي"

فضحكت وقلت: "لا تنس نشاطي بالمسرح وهو الأهم"، وسكت سكتة قصيرة ليقول لي بعدها أنه لا يظن أن الماديات سوف تجعلني أتأخر عن القيام ببطولة الفيلم، فسألته عما يقصده فتحدث عن الميزانية المحددة التي سيقدمها الاستوديو لإنتاج فيلم العزيمة وبأن المبلغ المقدر للبطلة في ميزانية الفيلم هو ١٦٠ جنيهًا.. وابتسمت، وقلت له بأنني قد استمتعت حقيقة بزيارتي له، ونهضت لأستأذن، ونهض كمال سليم جزعا، أرجوكي اجلسي، ووقف مفكرا، وفي ثوان تذكرت التجربة المريرة التي مرت بي قبل ذلك في نفس الاستوديو حين دعيت للعمل «تبست» أخذه لي «الخبير الألماني» الهر كرامب، وكان من رأيه بعد رؤيته صوري بأنني لا أصلح للسينما، ولا أدري السر في ذلك، وعلى أثر هذه الذكرى الأليمة قررت أن أقبل وأوقع عقد الاتفاق لقيامي ببطولة فيلم العزيمة كي أبرهن بأنني، كما كنت في قمة مجدي المسرحي، فإنني يجب أن أصل في عملي السينمائي إلى القمة.

ورتب كمال سليم جلسات بيني وبينه ليقرأ لي دوري في الفيلم، ولم

يكن الدور من الصعوبة أو التعقيد بحيث يستلزم كل تلك الجلسات الطويلة، ولكن كان هناك سبب أهم.. كان هناك الحب.. حب كمال سليم لي الذي ولد في قلبه في أول مقابلة لنا.. ثم بدأ ينمو نموا سريعا عنيفا في كل لحظة وثانية لأجدني في نهايته أمام كمال سليم آخر غير كمال سليم الهادىء الوديع الذي أصابه الحب، وهو يحدثني في خفر العذارى بمكتبه باستوديو مصر.

أدرك كمال سليم كما أدركت أن عملي في الفيلم قرب على الانتهاء، وأن وجودنا معا بالاستوديو ليسمعني غزله المستور. خلف إعجابه بي كممثلة، وتجولنا في أنحاء الاستوديو في فترات تغيير أماكن الكاميرات وتناولنا الأكلات البسيطة في مطعم الاستوديو.. أن كل هذا لم يفلح بعد في توثيق علاقته بي ولا في خلق صداقة قوية بيننا.

وعرض الفيلم ونال نجاحا كبيرا.. وقد نجح فيلم العزيمة الرائد نجاحا باهرا ولا يزال يعرض إلى يومنا هذا. وقد كتب عنه الناقد والمؤرخ الفرنسي جورج سادول أن فيلم العزيمة هو فعلا الفيلم الذي تخطى البينة المحلية إلى العالم الأوروبي وفاز بجدارة على المائة فيلم في مهرجان عرض هذه الأفلام.

وبعد عرض الفيلم قال لي كمال سليم ونحن نتفرج يوما على الفيلم سويا أن الفضل لك لأنك كنت تمدينني بطاقة هائلة كانت السبب في نجاح هذا الفيلم وأن حبه هو الدافع إلى نجاح فيلم العزيمة. كان حبه لي هو الذي يتكلم.. وهو الذي يفكر. وهو الذي يخطط وهو الذي يصارح ويتكلم.. وهو أيضا الحب الذي جعله يتفوق على نفسه في عمله.. ويكون في فيلم العزيمة شيئا آخر عن كل أعماله السينمائية.. كان أمامي

حبا مجردا.. حبا سافرا.. قويا بليغا.. وأي امرأة مكاني كانت تفقد رأسها أمام هذا الحب.. وطلب مني الارتباط به أي الزواج، ولكنني لم أقبل هذا العرض، وحدثته بمنطق العقل.. وقلت له إنه شاب ممتاز يشرف أي امرأة أن تربط حياتها به.. وأنا كفنانة لي مركزي يتحتم علي أن أعيش في مستو معين، فقال لي إن الماديات مشكلة، ولكنه بعد نجاح فيلم العزيمة سيتحرر من قيود الوظيفة ويفتح أمامه الباب على مصرعيه للتعاقد على إخراج أفلام كثيرة.. وإلى أن تمر هذه الفترة فإنه سيقبض مرتبه من الاستوديو ليسلمه لي كاملا، فسكتُّ وسرحت.

وألح علي طموحي بأنني لو وافقت كمال على الارتباط به سيكون لي شأن كبير في عالم السينما وأتربع على عرشها كما تربعت على عرش المسرح، ثم صدرت منه توافه أزالت ما استقر في قلبي من هدوء وسكينة.. لماذا، لأن زهرة اسمها الغيرة.. وهى زهرة ليس لها عقل ولا قلب، ولكن لها رائحة خبيثة تعطل العقل وتعمي البصر وتميت الحواس.

وكان كمال تحول إلى مخلوق يغار من كل إنسان يراني أضحك في وجهه، وكأنني بقبولي الارتباط به أصبحت ملكا له.. وبالطبع كانت كلمة مدح مني في حق إنسان عرفته لا معنى لها غير أنني أحب ذلك الإنسان.

وفي أحد الأيام حضر لي من الإسكندرية أحد أصحاب الكازينوهات للتعاقد معي ومع الأستاذ عزيز عيد في تقديم مسرحية ذات فصل واحد في ذلك الكازينو، وأحسست أنه تضايق لأنني أشركت معي عزيز في هذا العمل.. واستوضح مني نوع العمل فقلت له بأننا سنقدم مسرحية من

فصل واحد.. ثم تقديم بعض قطع تمثيلية غنائية مني.. وظننت أنه سيعارض، ولكنه تحمس للفكرة وقال: "إن كبار الممثلين في الخارج يعملون أحيانا في الكازينوهات الاستعراضية في أوروبا".. فاسترحت لإجابته وسافرت مع عزيز إلى الإسكندرية لنبدأ العمل وكنت وعزيز متلازمين بحكم عملنا.

وكان كمال في القاهرة، وبدأت مرارة جديدة وغير جديدة تتولد في نفس الشاب كمال سليم من الرجل الكبير سنا.. لقد غار من الأستاذ والمعلم والزوج سابقا، ومن هذه الغيرة تولدت أحداث كثيرة.

إن الذي عاش للمسرح ووهب حياته له يجد من الصعب عليه اعتزال المسرح، فهو بالنسبة له الهواء والماء والغذاء، الحياة كلها.. فكيف أعيش بعيدا عن الجمهور الذي أحبني وتوجني ملكة على خشبة المسرح؟

ولكن.. هل في مقدوري تكوين فرقة مسرحية بعد عناء المشوار الطويل الذي قطعته في طريق المسرح والسينما؟ بعد سهر الليالي في تدبير شئون فرقة فاطمة رشدي من تمثيل وخلافه؟. كلا. لذلك فقد فكرت في لقاء أحبائي الذين يقدرون فاطمة رشدي كفنانة ولا يعلمون كيف يلاقونها في مسرح أم دار للسينما أم في كازينو.. وهذا ما حدث فلقد ألقيت بعض قطع تمثيلية غنائية ذات هدف وذات موضوع ببعض الكازينوهات.. وقد استنكر كثيرون أن فنانة كفاطمة رشدي تظهر في الكازينوهات.. ولكن لماذا؟ وما الضرر في ذلك؟.. إنني لم أشأ أن أبعد عن جمهوري الحبيب.. ومن جهة أخرى فقد أردت أن أدخل على برامج الكازينوهات بعض التمثيليات الصغيرة الراقية بغية تهذيب ذوق من يرتادون مثل هذا المحال.. ثم

وهل كان في مقدوري، وأنا التي خرجت من المسرح خالية الوفاض أن أقيم مسرحا مرة أخرى؟

إن كبار الفنانين في أوروبا وأمريكا لم يقتصروا على التمثيل فقط، بل أنهم قاموا بتأدية التمثيليات الخفيفة وإلقاء المونولوجات مثل الممثل الفرنسي الكبير موريس شيفالييه وكذلك سيسيل سوريل نجم الكوميدي فرانسيز التي اشتغلت في كازينو دي باري في الغناء.. وأيضا الممثلة العالمية مارلين ديتريش.. والممثل الإنجليزي يورك الذي عمل في فرقة استعراضية وهو الذي قام ببطولة رواية الحذاء الأحمر للسينما.

ذلك كان اتجاهي كما أوضحت.. فلدي الطاقة الفنية التي أردت استغلالها، في تطبيق ما في الخارج على ما لدينا من كازينوهات بهدف رفع الذوق الفنى للشعب.. ولكن، وللأسف الشديد، كان الاحتلال البغيض قد جعل اسم الكازينوهات مرادفا لأماكن اللهو.

وأذكر بالإعجاب أني بينما كنت في رحلة إلى السودان، وكان له تأثيره لدي، شاهدت فرقة يونانية صغيرة مكونة من خمسة أفراد (فتاتان وثلاثة رجال) كانوا يقدمون برنامجا مكونا من قطعة دراما.. ثم مشهد راقص.. ثم بعض المونولوجات كل ذلك بانسجام عجيب.. لا مشاحنات ولا منافسات.. بل الجميع يعملون معا كسيمفونية موسيقية وتعاون تام في كل بلد يحلون به.. فأعجبت بتلك الروح الوثابة المتعاطفة التي قل ما وجدتها من زملاء.

المنافسة أحيانا غير شريفة

هناك بعض الفنانين والنقاد شغلهم الشاغل هو هدم كل عمل جيد.. وهذا ما كان يثير دهشتي.. لماذا هذا الحقد؟ لماذا لا تكون المنافسة شريفة؟.. كل يقدم ما يستطيعه وللجمهور أن يحكم على العمل الفني، وهو الفيصل في كل عمل؟ فهناك أناس كثيرون شغلهم الشاغل إلقاء المحاضرات في المسرح وهم أبعد ما يكونون عن تفهم العمل الفني الجاد.. بينما هناك غيرهم متطفلون.. يدسون أنوفهم في الأعمال الفنية وهم أبعد ما يكونون أيضا عن هذه الأعمال.

وفي كازينو «مونت كارلو» حيث كنا نقدم أنا وعزيز عيد فصلا من مسرحية «مريض الوهم» وأؤدي بعض قطع غنائية تمثيلية، عهد أصحاب الكازينو – وكانوا إيطالي الجنسية – إلى موسيقي شاب هو فوزي الحو الذي عرف بعدئذ بمحمد فوزي – عهدوا إليه بتلحين القطع التي أغنيها.. وأذكر منها: «الراندفو كان ليه عملوه».. و«اتحقق الحلم الجميل».. «وصلني للمحبوب يا نيل» أغنية «يوم ما قلت أنك مسافر ع الحدود يا حبيبي». يا شباب مصر وآمالها.. حققوا لمصر الأماني مين يصونها غير رجالها.. من العادي وكل جاني يا شباب مصر ورجالها.. حققوا لمصر الأماني أعز من بلدي ونيلي.. في الدنيا مفيش ومصر لما تناديني.. ويعوزني الجيش في يوم وليلة تلاقوني.. في الأورطة شاويش يا مصر حبك ألهمني..

أنشد وأقول فيكي أماني ياللي الفؤاد بيكي هوستي.. يا واخدة روحي ووجداني

وهذه القطع من تأليف الممثل زكي إبراهيم الذي كان يعمل معنا في الكازينو. وكان حفظ الألحان وأداؤها يقتضي الجلوس طويلا مع مُحَمَّد فوزي فنشأت صداقة ودودة بيننا.. وكان شابا لطيفا مرحا يكثر من الدعابة والضحك وكان محبوبا من جميع زملائه. وكان كمال سليم عند حضوره للإسكندرية أثناء عملي في الكازينو قد عرض على عزيز عيد أن يعمل معه في فيلمه «إلى الأبد» ووافق عزيز، وبعد العمل في «كازينو مونت كارلو» كونت فرقة تمثيلية ومعي عزيز عيد، ومن أفرادها: مُحَمَّد فوزي، والسيد بدير، وعبد العزيز أحمد، وسلامة إلياس.. وقمنا برحلة إلى الصعيد، كنا نعرض فيها رواية مسرحية، ثم عدنا إلى القاهرة وقمنا برحلة إلى الوجه البحري، وبعد العمل سافر عزيز إلى فلسطين لإخراج بعض الروايات للإذاعة فيها.

كان بعض الصحفيين الأجانب قد طلبوا مقابلتي في «فندق متروبوليتان» لإجراء حديث معي عن الفن، وكنت وقتها أتلقى دروسًا في الإنجليزية في معهد «برليتس» وذهبت إلى ملاقاتهم وعندما أخذوا يسترسلون في الحديث باللغة الإنجليزية بسرعة، وبلهجة لم أتمكن من مجاراتهم، أخذت أعتذر لهم بالإنجليزية بأنني غير متمرنة كفاية فتدخل أحدهم ورد علي بالعربية أنه سيتولى الترجمة. واكتشفت أنه مصري ولكن ملامحه ووسامته كانتا تعطيه مظهرًا أجنبيًا تماما. وقد شغل بعدئذ منصب

مدير مصلحة السياحة كما كان أديبًا رقيقًا.

وقمنا برحلة إلى السويس لتقديم رواية «٦٦٧ زيتون» وكانت الفرقة تتكون من أربعة ممثلين فقط عدا البطلة.. وأخذتنا الحيرة في إيجاد مكان لنبيت فيه.. والتقيت هناك بالأديب الذي تعرفت عليه في فندق متروبوليتان بالقاهرة فحياني بحرارة ولما علم بمشكلتي تطوع وعرض علي خيمة تخصه على شاطئ البحر.. ولما لاحظ ترددي أفهمني بأنها خيمة ملوكية يتوافر فيها كل وسائل الراحة مع غذاء وماء ومرقد، وأنها ستعجبني تماما.. وسيأتي لزيارتي قبل شروق الشمس ليريني منظرًا رائعًا للشروق على سطح الماء.

أخذت الزملاء وذهبنا إلى الخيمة فوجدناها أكثر جمالا مما وصفها فأجرينا البروفات وانقضضنا على الطعام الذي وجدناه بوفرة وعدنا إليها بعد انتهاء الحفل للمبيت. وقبيل الفجر تنبهت على صورة سيارة ثم خطوات.. تذكرت هذا الأديب؛ فنهضت بسرعة لأقابله خارج الخيمة وهو مندفع إلى داخل الخيمة حيث يرقد الزملاء في أوضاع وهم في سبات عميق تنبعث من بعضهم أصوات نشاز. لاقيته قبل أن يلج إلى الخيمة ويشاهد هذه المناظر.. صحت فيه وأنا واقفة.

– استنى عندك..

– ليه؟....

– فيه رجالة...

– رجالة...؟ ليه.. هما كام؟

– أربعة..

صاح بذهول:

– أربعة...؟

وخرج مغشيا عليه، فضحكت لذلك لأنه لم يستطع أن يدرك طبيعة الفنانين وأن العمل هو الذي يسيطر على مشاعرهم.. لا كلفة ولا تصنع بل إخاء ومساواة. ثم أفاق من غشيته وتقدم وانحنى حتى كادت تلمس جبهته ركبتي، وأخذ يدي وقبلها كأنني في تشريفة ملكية. ثم تحسس يدي وقال يا مدام إيدك فيها نعومة وجمال يد الملكات.. فضحك وضحكت ونعمنا بشروق الشمس ثم دعاني إلى جولة سابحة في البحر فجاملته ولبيت..

ثم رجعت للقاهرة وعاد عزيز عيد بعد انتهاء عمله بإذاعة فلسطين وكان يتردد علي أيضا في المنزل، فكان يلتقي بكمال سليم وكانت تدور بينهما أحاديث عن المسرح والتأليف المسرحي.. وكان كمال يستظهر ثقافته الواسعة وإلمامه بالمسرح، وللحق كان كمال على اطلاع ومعرفة كاملة بالمسرح وفنونه، فقد كان قارئا ممتازا.

كمال سليم وعزيز عيد

حين أخرج كمال سليم فيلم «إلى الأبد» أسند كمال إلى عزيز دورًا صغيرًا في ذلك الفيلم (دور عربجى حنطور).. ولم ينظر عزيز إلى صغر الدور إلا بمنظار الرغبة في التعاون مع كمال سليم فنيا في حقل السينما لأنه في استطاعته أن يجعل من ذلك الدور الصغير إبهارا يستلفت الأنظار.. لذلك قبل الدور ببساطة الفنان حين عرض عليه.. وجاء وقت التصوير، وبدا عزيز عربجيا أصيلا في مظهره وحركاته، ولكن عندما بدأت بروفات التصوير.. بدأ تنمر كمال بقسوة وظهر ما يعتمل في نفسه من غيرته من عزيز وأخذ ينتقده بالرغم من تفاهة الدور الذي أسنده إلى عزيز.

كنت حاضرة هذا الموقف وشهدت ما حدث من كمال لعزيز. حاولت إيقافه عند حده، ولما فشلت أسرعت بمغادرة الاستوديو بعد انتهاء دوري.. وكانت العادة أن أنتظر كمال، ولما سأل عني وعلم أنني غادرت الاستوديو تركه مسرعا وعاد إلى المنزل؛ فوجدني أجمع ثيابي لأغادره، وسألني عن سبب جمعي ثيابي؛ فقلت له: "عزيز أستاذ كبير، عزيز عيد هو أول من أدخل الفن الحقيقي في البلاد".. فرد قائلا: إن ممثلي المسرح لا يفهمون في السينما.. فرددت عليه في ثورة: "هذا ادعاء كاذب.. من الذي كان سببا في نجاح الأفلام المصرية.. أنظر حولك ترى

يوسف وهبي، جورج أبيض، نجيب الريحاني، محمود المليجي، حسين رياض، عباس فارس، أحمد علام، حسين صدقي، ماري منيب، بشارة واكيم، أمينة رزق، زينب صدقي، حسن البارودي، دولت أبيض، مختار عثمان، فردوس حسن، عقيلة راتب، سعيد خليل، علي رشدي، أنور وجدي، فؤاد شفيق، استفان روستي، منسى فهمي، روحية خالد، فرج النحاس، زكي طليمات، منشيء معهد التمثيل والفرقة القومية والمسرح العسكري وغيرهم. إن أبطال المسرح هم الذين رفعوا لواء السينما في مصر".

- تتركيني وعشان مين؟ عشان عزيز.. لا أنا أعرفك كويس تفتكري أسيبك تتركيني؟ دنا كنت أقتلك.. لا.. لا.. مش أنا اللي بستسلم لرغباتك بسهولة مش حاعمل زي غيري اللي استسلموا لقضائك القاسي ولم يقتصوا منك.. أنا شاب لكني مجرب.. وعيني مفتحة أنا عارف من أنت.. اسمعي يا فاطمة ما تفتكريش إني جاهل.. كنت عارف كويس كل مغامراتك.

- أنا لا أسمح لك تتعرض لسمعتي..

- يا فاطمة.. أنا حبيتك وعمري ما حبيت قبلك وكنت مغلوب على أمري. أنا اللى حاخلق منك الجائزة.

- غرور.

- «بثورة هياج» أغنياء وشعراء وثوار وموسيقيون وأصحاب فرق ومليونيرات وصحفيون وسياسيون.

- كل دول أحبوا في الفنانة مش المرأة زى ما حضرتك بتفكر

- «يضحك بهستريا» ها. ها .. ها .. الفنانة؟. ما فيش راجل يبص للمرأة على أنها فنانة.. مش ده الاعتبار الأول عند أي راجل بالنسبة لأي امرأة.

- «بغضب» كداب.. أنت لما أظهرت إعجابك بي كان في اعتبارك إيه؟ الأنثى فاطمة؟ ولا الفنانة فاطمة؟ أنا فاكرة كويس أنك أول ما كلمتني عن تقديرك وإعجابك بفني ما كلمتنيش عن سحر عيوني ولا سحر شفايف.

- فاطمة أنتي بالنسبة لي كل حاجة في حياتي.. فاكرة إنك خلاص وصلتي للقمة في السينما.. خلاص وصلت!! إزاي واحدة زيك عملاقة المسرح تعيش في شقة متواضعة معايا؟ وعزيز ده خدمك في إيه؟ ولا حاجة فين عماراتك؟ فين أطيانك؟ ما فيش.. يبقى التياترو ما خدمكيش ولا أصحاب الفرق.. أنتي اللي خدمتي التياترو.. خدمتي الشعر العربي.. وأنا عارف كل ده كويس ولا حد من دول خدمك.. كمال سليم لوحده بس هو اللي حيخدمك..

- كل العظمة اللي راكباك دي علشان فيلم العزيمة.. إن نجاح فيلم العزيمة بكل الذين شاركوا بالتمثيل فيه معاك.. أنور وجدي.. حسين صدقي.. عباس فارس.. عبد العزيز خليل.. ماري منيب.. كل هؤلاء نسيتهم؟

- أنا لي الحق أقتلك قبل ما تموتيني.. ما فيش غير الشبح البطل اللي في مخيلتك.. حملت رسائل للثوار وكدت تدفعي ثمنها من حياتك لولا دفع القدر في طريقك بأحد الزعماء الصغار المجهولين فأبعد عن رأسك الرصاص وظل يبعده حتى أكل الرصاص رأسه وجسده هو.. وإلا كانت وقعت الخطابات في أيدي المخابرات الفرنساوية وكانوا ضربوكي أنتي بالرصاص.

- ما كانش عندي مانع أن أموت شهيدة.. خلاص سيبني سيبني..

- ما أنا سايبك.. مش كفاية إني بأسيبك تعملي رحلات وفرقة وتسافري لعمل حفلات في الصعيد وفي وجه بحري وقبلي ما يقرب من شهر وأنا هنا وحيد في انتظارك.

- أنا اتخلقت للفن.

- وأنا اتخلقت علشانك إنتي..

- نعم.. علشاني؟ مش عارفة أقولك إيه.. أنا محتارة. حياتي تعبانة يا كمال. مش قادرة أستحمل أكثر من كده شكوكك وغيرتك وتحقيقاتك. اضطريت اشتغل علشان نكمل حياتنا طفح الكيل يا كمال. لازم نسيب بعض وكل واحد يمشي في طريقه لمصلحتنا إحنا الاثنين.. أنا ما أنساش فضلك علي. وما أنساش تعبك وسهرك في أني أكون نجمة السينما زي ما أنا نجمة المسرح. لكن لابد نفترق.

- يعني خلاص؟ مش معقول. مش معقول أتحرم منك. دي تبقى نهايتي.

– لا يا كمال دي تبقى بدايتك صدقني.

كانت هذه هى بداية النهاية.. نهاية ارتباطي بكمال سليم، أو عامل القسمة والنصيب.. الاثنان معا شاءا أن تتوقف علاقتنا عند ذلك الحد.

وقمت برحلتي إلى السودان وشاهدت السودان فيلم العزيمة، وانهالت علي برقيات التهنئة، وطلب مني إقامة حفلات تمثيلية هناك، فلبيتها، وكان معي الأستاذ عزيز عيد ومحسن سرحان وعبد العزيز أحمد، وقوبلت الفرقة عند وصولها بترحاب كبير أثلج صدورنا، وقد نجحت الحفلات والحمد لله نجاحا كبيرا. وقد مثلنا روايات السلطان عبد الحميد وكليوباترا وغيرها ودعيت الفرقة إلى حفل استقبال فخم بقصر الحسيب النسيب السيد عبد الرحمن المهدي.. وقد استقبلنا جمع كبير من أبرز الشخصيات السودانية وهنأونا على نجاحنا ولم يكن بالسودان مسرح نستطيع أن تقدم عليه الفرقة عروضها.. فحول متعهد الحفلات إحدى دور السينما إلى مسرح وتكفلت عبقرية الأستاذ الكبير عزيز عيد بإضافة لمسات فنية واعية جعلت كل المشاهدين يتصورون أنهم في بناء شيد خصيصا ليكون مسرحًا.. واستمتعوا فيه بالإخراج المسرحي الرائع.. المسرحيات التي مثلتها فرقتى الكبيرة.

وبعد رحلة السودان دعيت لعمل رحلة إلى فلسطين للعمل هناك في حيفا ويافا.. وكنا نعمل في بلاد صغيرة لم يكن بها فنادق كبيرة، وكان هذا متعبا للغاية، وكان المتعهد الذي كان عاشقًا متبتلا لشخصي الضعيف دون أن يظهر ذلك، يدعونا إلى نزهات خلوية لمشاهدة معالم البلاد.. وفي إحدى النزهات حان موعد الغذاء.. وفي انتظاره فوجئنا بأن المتعهد قد

أحضر لنا دجاجات حية.. أليس هذا غريبا؟.. دجاجات حية لمن ينتظرون الغذاء؟.. فاغتظت.. وأمام الأمر الواقع شمر أعضاء الفرقة عن سواعدهم وأخذوا يتنزعون ريش الدجاج بعد أن ذبحوها وأقاموا نارا شويناها بمساعدة رهبان الدير.

كنت كلما سألت هذا المتعهد عن المسرح الذي سنعمل عليه أجابني بانشغال جميع المسارح حتى لا يفترق عني. ولما أدركت نواياه بحثت عن مسرح خال وفعلا وجدت واحدا بدأت العمل به في الحال. وكان ذلك قبل عام ١٩٤٨.

إلى أن وصلت الفرقة إلى القدس، ووجدت أن المتعهد قد حجز لي جناحا بفندق الملك داود.. أي أنني وجدت نفسي قد انتقلت من الحياة الشاقة إلى حياة الترف الناعمة. وطبعا كان أول ما فكرت فيه أن آخذ حماما.. وكان يشغل هذا الجناح اثنتان قبلي أولهما الملكة السابقة نازلي، والثانية المرحومة المطربة أسمهان، وفجأة دخلت أربع فتيات حسان كأنهم الأقمار ليتولين عمل الحمام لي وهن من المعجبات بأفلامي.. فكنت في منتهى السعادة.. وفي ذلك اليوم وبعد أن خرجت من الحمام تمددت في فراشي الوثير.. قلت سبحانك يا رب.. حقا إنك ما بين غمضة عين وانتباهتها تغير الأمور من حال إلى حال.

وفجأة وصل إلى سمعي هرج ومرج خارج الفندق وعندما فتحت أحد النوافذ تبين لي حقيقة الأمر وهو قيام ثورة بين اليهود وأهالي القدس استعمل فيها الرصاص طوال الليل لدرجة أنني لم أستطع النوم فعولت على

الرحيل سريعا أنا وأعضاء الفرقة خوفا من حدوث مضاعفات.

وبعد رحلة فلسطين عدت للقاهرة وعملت في جملة أفلام هى: مدينة الغجر – غرام الشيوخ – الريف الحزين – بنات الريف، وكانت نهضة مباركة اشتركت فيها مع كثير من الزملاء وعلى رأسهم الأستاذ يوسف وهبي الذي كان من أول من ساهموا مساهمة فعلية إيجابية في النهضة السينمائية.

ثم دعيت من رائد النهضة المسرحية في تونس الأستاذ بشير المتهني، وكان من المعجبين بفن فاطمة رشدي، للسفر إلى تونس وتكوين فرقة هناك من أبنائها وتحت إشرافي على أن أتولى أنا تدريبها وإخراج مسرحياتها والقيام ببطولتها النسائية، ولما كانت الفكرة مغرية خصوصا وأنني أكن لهذا الإنسان إعزازا وتقديرا فقد وافقت. وقد اتفقنا على كل شيء.. واستقر الرأى على أن تعمل الفرقة على أفخم المسارح بتونس وهو مسرح البلدية.. ومسرح البلدية معد إعدادا كبيرا يوفر راحة العاملين بالمسرح بحيث إن الممثل يستطيع متابعة ما يدور في المسرح ويعرف أيضا موعد دخوله. عن طريق الديكتافون في كل حجرة من حجرات الممثلين.

وتكونت الفرقة من عناصر طيبة عندها استعداد ومواهب.. وابتدأت أدرب الفرقة على مسرحيتي غادة الكاميليا.. وجيسوندا.. وأوبريت من ألف ليلة اشترك معي فيه المطرب المصري الذي يعيش في تونس ونجحت نجاحا كبيرا وقد استطعت أن أقدم هذه المسرحيات للجمهور في وقت قصير.. وكان التوفيق حليفي فنجحت هذه الفرقة الناشئة واستمر العرض

المسرحي حوالي الشهرين.. ولكن للأسف لم أستطع أن أستمر نظرا لما جرى لي بعد ذلك؛ فقد كنت أقيم في فندق يتساوى في درجته مع فندق هيلتون النيل..

وبعد انتهاء العمل كنت أرجع الفندق. وكان الصديق صاحب الدعوة ينتظرني ليطمئن علي وخصوصا أن نذر الثورة تبدو من وقت لآخر. وكنت خائفة من تأزم الموقف في البلاد ولكن الصديق طمأنني، وفي ليلة شبت الثورة في كل مكان، فخفت ولزمت حجرتي إلى أن سمعت بأن الثوار سيقومون بإحراق الفندق باعتباره مؤسسة فرنسية فأصابني الرعب وسبب لي نزيفا حادا.. وجاءني الصديق حزينا وقد رتب أمر سفري في خلال يومين. وقد تمت الترتيبات لتوفير مكان لي بالطائرة لتحملني إلى القاهرة حيث قمت بتأليف فرقة مسرحية تجولت بها في الإسكندرية والوجه البحري إلى أن دعاني المسرح العسكري للعمل.. وقمت ببطولة المسرحية الوطنية عروس رشيد للكاتب المسرحي رشاد حجازي، وغادة الكاميليا، وشرف الحفل الزعيم الخالد جمال عبد الناصر.. وكان الحفل في ثكنات العباسية.. في مسرح عسكري.. وفي مكان يسوده الطابع العسكري.

كما اشتركت بعد ذلك مع المسرح الحر في تمثيل دور زبيدة العالمة في مسرحية بين القصرين للكاتب الكبير نجيب محفوظ. وفجأة وجدتنى أمام عميد المسرح العربي.. باعث النهضة الفنية الحديثة يوسف وهبي، وهو يحدثني حديثه العذب. لقد تفتحت عيناي وأنا فتاة صغيرة تعشق المسرح وفنونه على مسرح رمسيس.. كنت مبهورة بشخصية يوسف وهبي الذي

قدم خدمات جليلة للفن.. لقد بذل من ماله الكثير ومن صحته الكثير ومن جهده الأكثر متخليا عن حياة الأرستقراطية التي نشأ فيها.. كل ذلك حبا في المسرح والفن المسرحي الذي ازدهر على يديه.. كان يحدثني في مأدبة الغذاء التي دعاني إليها مع باقي زملائي رواد المسرح وأنا أستمع إليه ساهمة شاردة.

حديث الذكريات

هل كل ما مر بي من أحداث كان حلما؟.. ترى هل أسمع دق جرس مسرح رمسيس إيذانا ببدء البروفات، وعزيز عيد جالسا على كرسيه يوجهنا على خشبة المسرح.. لم لا.. ما الحياة إلا حلم كبير..

وبعد انتهاء حديث الذكريات نهضت، وأنا كالسابحة في أحلامي فوجدتني أمام باب مسرح رمسيس، وأثناء عبوري للشارع كادت أن تصدمني إحدى السيارات، فتوقفت.. وتوقفت باقي السيارات.. وتقدم إلي من أراد إنقاذي، وعندما تأملته عرفت إنه أحد المعجبين بي.. أخذني بين ذراعيه.. وعيناي دامعتان.. فربت على كتفي وسرت معه خلف مسرح رمسيس وهو يقول لي: "يا لها من ذكريات".. سرنا معا إلى أن وصلنا إلى شارع المهدى حيث كان يقع مسرح دار التمثيل العربي.. قال لي:

"لنا يا فاطمة في هذا المسرح ذكريات.. لقد تذكرت افتتاح دار التمثيل وعلى فنون المسرح جميعها.. لقد تتبعت خطاك من أيام روض الفرج.. كنت بجوارك دون أن تدري.. أراقبك عن كثب أيتها الصديقة العزيزة.. لعلك تتساءلين عن السبب؟ وبكل بساطة أقول بأنني كنت معجبا بك.. بكل شيء فيك.. جمالك، شبابك، خفة روحك.. تمثيلك.. إلقائك.. حتى غضبك عندما تثورين. لقد عقدت صداقات مع أعضاء فرقتك لكي أتسقط أخبارك وكم فرحت عندما كنت تنجحين، وكم كان

يعتريني الحزن عندما كانت الظروف تعصف بجهودك، بصراحة، لقد كنت أول حبي وأنا طالب في الثانوي، وكان حبي يزداد مع الأيام، حتى كان عشقا، لم أجسر أن أبوح به، وحسنا فعلت، كم تلوعت، وكم تألمت!! ولكن ما باليد حيلة، طالما أن المعشوقة غير مستجيبة، فلتكن صداقة بريئة شريفة دامت إلى اليوم، لم أنل قبلة واحدة، بل ابتسامات كنت تتصدقين بها.

فلنعد إلى دار التمثيل التي بدت ليلة الافتتاح في حلة قشيبة، كل شيء فيها جديد، كل شيء يلمع، الرمل يغطي المدخل حتى شارع الجنينة البحري، لقد دعي المحافظ بصحبة رهط من العظماء لحضور افتتاح «مانون ليسكو» فاستقبلوا أجمل استقبال، وأكرمتهم إدارة الفرقة، فكان ذلك حدثا في الحي الذي تهاوى بعد فرقة الشيخ سلامة حجازى والسيدة منيرة المهدية، لأن شارع عماد الدين كان وحده شارع الفن، فكيف تجرؤ فرقة محترمة أن تظهر في غير عماد الدين؟ هناك الكسار والريحاني، وهناك يوسف وهبي الخطير، هذا الاختيار وحده دليل على عقلية متحررة من الاعتبارات الساذجة والسخيفة.. بهذا قدمت البرهان على صدق إحساسك في السكان لا في المكان.. كان إيمانك وثقتك في عملك أكثر دافع للسير قدما، فلما عرضت تمثيلا محترما، أصبح للحي شأن آخر.

لن أنسى انبهار الجمهور عندما رأى المسرح – في الفصل الأول– العربة التي تقل «مانون» وبعض أشخاص بأزياء ذلك العهد، لن أنسى كذلك منافسة فرقتك لفرقة الفنان الكبير يوسف وهبي، فقد اتفق مع

المرحوم الأستاذ جورج أبيض على إخراج رواية «الوطن» لفكتوريان ساردو، في نفس الوقت الذي تقومين فيه بتمثيل هذه الرواية في دار التمثيل. وما دمنا في مجال الذكريات، فلابد من أن أسر إليك باعتراف آخر، ربما لم تسمعي به للآن. في تلك الحقبة، تذكرين أن سينما كوزه وكان يؤجر مساء السبت من كل أسبوع إلى جمعية أو طائفة من الطوائف الأجنبية – وكانت عديدة – بغرض إقامة «باللو» بالملابس التنكرية، وخلال هذه الحفلات كانت توزع جوائز لأنجح شخصيات متنكرة ولأوفق مجموعة وكانت «رواية السلطان عبد الحميد» تعرض وقتئذ، وأدى نجاحها إلى مدها عدة أسابيع، فعزمت على شيء ما، استغللت صداقة بعض ممثلي الفرقة وثقتهم فاتفقت على أن نتوجه جميعا– بربطة المعلم– وأنا معهم بملابس الرواية مساء السبت إلى الكوزمو.

دخلنا بموكب مهيب، يتقدمنا الصدر الأعظم والباشوات والأتراك عباس فارس، عبد المجيد شكرى، حسين رياض، إلخ، وأغا القصر «بشارة واكيم» يتبعهم الضباط والحاشية. لم تمض دقائق معدودة حتى علا التصفيق.. ثم عندما حان الاستعراض نلنا صندوق شمبانيا.. شربه أعضاء الفرقة في صحة فاطمة والأستاذ عزيز المخرج الفذ صاحبي الفرقة والملابس.. فكان ذلك دعاية واسعة للفرقة وفرصة طيبة للترفيه عن هؤلاء الممثلين المخلصين.. يا لها من ليلة. نعم لقد أحييت المسرح أيها المسرح.. كم أحببتك.. وكنت تطير بي إلى أي مكان.. وكنت أستمتع بكل مجال عظمتك وروعتك.

فقد انطلقت أحارب الإنجليز في أرجاء فرنسا في رواية «جان دارك» وانطلقت بخيالي مع جيوش نابليون في كل سهول أوروبا. وحلقت في سماء الترول في رواية «النسر الصغير» ومع الشعب الفرنسي وثورته انطلقت أجوس الأزقة والشوارع أدفع أذى الخونة عن الزعماء في رواية «شارلوت كورداي»، وفي مصر القديمة وعظمتها.. وفي رمال الصحراء وروعتها في رواية «كليوباترة».. وفي تركيا وفي ربوع الاستانة في رواية «السلطان عبد الحميد» وفي جلال وقداسة بيت المقدس في رواية «سالومي» وفي شمال إفريقيا في جبال ووديان تونس في رواية «قرطاجنة» فإذا توقفت قليلا كنت أسير في أبهاء قصر الدون في البندقية بإيطاليا.. فإذا استرحت عدت أرقب المعارك في أرض آشور في رواية «سميراميس».. ألبس التيجان وأتصدر الموائد الفخمة"

وفجأة التفت إلي وسألني: "هل كنت سعيدة في حياتك؟"

وأجبت: "أن حياتي الحافلة وما مرت بها من أحداث وتقلبات.. هذه الحياة لو خيرت بينها وبين حياة القصور والغنى، بل والملك، لفضلت الأولى لأني أحب الفن ومازلت أحبه وسأظل أحبه إلى آخر العمر".

"لقد كنت يا فاطمة عنوانا لنهضة مسرحية عظيمة، بما قدمت من روائع المسرح العالمي، ولقد تتبعتك من ابتداء عملك في مسرح رمسيس حيث كت ابنة رمسيس البكر ثلاثة أعوام استمتعت بتمثيلك أدوار البطولة مع رواد المسرح الأول الفنانات زينب صدقي، أمينة رزق، فردوس حسن، علوية جميل، ماري منصور، وغيرهن.. والفنانين حسين رياض،

مختار عثمان، حسن البارودي، استيفان روستي، أحمد علام، فتوح نشاطي وغيرهم.. وعلى رأسهم عميد المسرح العربي يوسف وهبي، ولقد كنت رائعة في هذه الروايات التي شاهدتك فيها منها رواية الطاغية والذئاب – وغادة الكاميليا– والنسر الصغير– واللهب– والجبار– والكونت دي مونت كريستو– والحقد– ومن الفودفيل رواية حانة مكسيم والرئيسة، لقد كنت متمكنة من تمثيل جميع الأدوار من فودفليل، إلى كوميدى، إلى تراجيديا، إلى دراما.

وأما في ابتداء فرقتك الأولى فلن أنسى مطلقا رواية الحب تأليف سارة برنار وركن الزيزفون، وركامبول ولوكاندة الأنس.. لقد كان جميع أفراد الفرقة في غاية التعاون معك يعملون بقلوب مرحة سواء كانوا محترفين أو هواة. ولا أزال أذكر رواية سميراميس في فرقتك الكبيرة حيث عملت في فرقتك كومبارس، وذلك لكي أراك أمامي لأنني أحببتك وأنا طالب وكنت أنت صاحبة فرقة كبيرة.. ولقد أدركت أنني سأتوه في زحام الناس المحيطين بك.. إلا إذا أصبحت شيئا.. فناضلت نضالا شاقا لأشق طريقي واقترب من دائرة الضوء منك، ولأنك كنت ممثلة فذة فقد هويت التمثيل وعشقت النقد الفني واتخذت من عنف اللهجة التي كانت تذوب في مشاعري سوطا أفسح به لنفسي الطريق وقد أصبحت صاحب مكانة.. والفضل لك أنت يا حلاوة.. وكنت دائما أقول عنك قطعة حلاوة.. لقد لعبت دورا مهما في حياتي ولست أنا فقط.. بل لك الفضل أيضا على المؤلفين والصحفيين والشعراء لقد كنت ملهمتهم"

ودعاني إلى شرب فنجان من القهوة بمكتبه في الجريدة التي يعمل بها لنكمل حديثنا، وهناك وتحت إلحاح شديد منه ليسعد روحه بذكريات الفن الأصيلة على حد تعبيره.. أسمعته هذه القطعة من مسرحية سميراميس.

"نعم ما أجمل النصر وما أجمل الحرب وما أبهج الصولجان في يد الظافر.. آمال عذاب وأماني كذاب تحققت جميعا واأسفاه شعب بأكمله تأخذه النشوة عند الهتاف باسمي كان واجبا علي أن أبتهج، ولكني هادئة لا أبالي.. لقد أنالتني الأعمال الجليلة منزلة الرجال العظام ورثت مالك «نينوس" فجعلت الشعب ينساه وحكمت من بحيرات هينامان إلى بلاد الرياحين.. لقد رأيت من البحار أربعا في حين لم يبصر أحد من أشور بحرا واحدا.

لقد قلت للنهر غير مجراك وتدفق هنا وما فعلت ألا سعيا وراء النفع عمرت الصحاري وجعلت قمم الجبال جنات وارقة الظلال وما خطوت خطوة إلا قامت وراءي الحصون المنيعة وما كان للطبيعة أن تقف في سبيلي.. لقد دفعت جيادي تخترق زبد السيول وتسير على حافة الأودية حيث لا تجرؤ على السير الوحوش، والآن نصف العالم يدين لحكمي مسلات نصري تقوم تحت السموات العديدة وآثار مجدي تظهر في أعمالي المجيدة، ولكن هذا البهاء الشامل تغيم عليه نبوءة خاطئة خلقتها عقول كهان لئام أنا لا أقيم وزنا لتلك النصائح الجوفاء ليس ديني دين آمون أن هذا السيف ديني أيها السيف الذي صحبني من السنين خمسا وعشرا أهجر مكانك لقد آن لك القرار. وإني لأقف عند آلهة السلام.. أيها

السيف يا نور الحقيقة يا مبعث القوة يا جامع القوانين يا موحد الشرائع يا فريد الجلال أريد أن أجمع بين الغار والزيتون.. سأجعل من نينوى أعجوبة العالم أسوة بأولئك الملوك الذين ينامون غرق المجد في سفح الهرم.. من الذي يعرف أبهة الملك من غير تسجيل المفاخر.. سأجعل أرباب القلم يخلدون ذكري.. سأجعل منها هالة حول مجدي وهناك تكذب الأباطيل سأظل دائما سميراميس ذات الجلال".

"لقد كانت فرقتكم كسيمفونية موسيقية فيها انسجام.. فيها توافق فيها تعاطف من كبيرهم إلى صغيرهم، ولا يزال مائلا في ذهني المخرج الفذ عزيز عيد وحسين رياض وأحمد علام ومحمود المليجي وعباس فارس وزكي رستم وبشارة واكيم واستيفان روستي وماري منيب وزينب صدقي وفردوس مُحَمَّد ونجمة إبراهيم وحسين صدقي وزوزو حمدي الحكيم ومنسى فهمي ويوسف حسني وفؤاد شفيق ونور الدمرداش وعلى رشدي وإبراهيم الجزار وعبد المنعم مدبولي ومحمود نصير وعباس الدالي ومحسن سرحان وعبد العزبز أحمد وسرينا إبراهيم وعبد المجيد شكري ومُحَمَّد فوزي وفرج النحاس وكوكا وأمينة مُحَمَّد وحسني كلود وسلامة إلياس وأحمد أباظة ومُحَمَّد أباظة وأحمد عامر وسيد العربي وزكي علي وإبراهيم رمزي وفوزية إبراهيم وغيرهم.

وأما في المسرح الحر فلا أزال أذكر مواقفك وأنت في رواية بين القصرين مع أحمد سعيد، زكريا سليمان، أحمد شوقي، عبد الكريم غماش، آمال زايد وأيضا في المسرح العسكري وأنت في رواية عروس رشيد تمثلين أمام أحمد طنطاوي، وإبراهيم الشامي ومحمود صبحي إنني أذكر كل

أعمالك بالفخر وخصوصا رواية كليوباترا تأليف أحمد شوقي أمير الشعراء وأنت تلقين الفصل الأخير: هلمي الآن منقذتي هلمي وأهلا بالخلاص وقد سعى لي شربت السم من فيك المفدى بسلطاني وزدت عليه مالي على نابيك من زرق المنايا شفاء النفس من سود الليالي وبعض السم ترياق لبعض وقد يشفي العضال من العضال دعوت الراحة الكبرى فلبت فبعدًا للحياة وللنضال هلمي عانقي أفعى قصور بها شوق إلى أفعى التلال سطت روما على ملكي ولصت جواهر أسرتي وحلي آلي فرُمت الموت لم أجبن ولكن لعل جلاله يحمي جلالي فلا تمشي على تاجي ولكن على جسد ببطن الأرض بالي وقد علم البرية أن ناجي نمته للشمس والأسر العوالي يطالبني به وطن عزيز وأباء ودائعهم غوالي أأدخل في ثياب الذل روما وأعرض كالسبي على الرجال وأحدج بالشماتة عن يميني ويعرض لي التهكم عن شمالي مكان التاج من فرق خالي وأغشى السجن تاركة ورائي قصور العز والترف الخوالي وتحكم في روما وهى خصمي وتسرف في العقوبة والنكال يراني في الحبائل مترفوها وقد كان القياصر في حبالي أذن غير الملوك أبي وجدي وغير طرازهم عمي وخالي سأنزل غير هائبة إذا ما تلمظت المنيه للنزال أموت كما حييت لعرش مصر وأبذل دونه عرش الجمال

وما زلت أحس بالحب يتدفق في قلبى، وأنت تخاطبين أرمان في رواية غادة الكاميليا. تمر حياتي وتضمحل بين هاتين الكلمتين.. آه الحب.. ولقد كنت أنت الحب.. الحب للملايين التي أقبلت في شوق كبير من كل مكان لتراك في مصر.. في سوريا.. في لبنان.. في فلسطين.. في ليبيا.. في تونس..

في الجزائر.. في مراكش.. في باريس.. وعشت الحب ومثلته في كل صورة.. حب ليلى العامرية.. حب غادة الكاميليا.. حب عبقرى كتب للمسرح من كتاب الشرق والغرب.

"لماذا لا تعملين الآن يا فاطمة؟ لقد أحبك الجمهور ولا يزال يحبك وهو يشاهدك في أفلامك الخالدة مثل فيلم العزيمة وبنات الريف والطريق المستقيم، وغير ذلك من الأفلام وهى تعرض بالتليفزيون.. إن الناس يتساءلون لماذا لا تعملين الآن؟ إنهم متعطشون لرؤياك إما على خشبة المسرح أو على شاشة السيما أو في التليفزيون؟".

فأجبته: "إني لا أرضى إلا عن العمل الذي يرتاح له ذوقي الفني. لقد وصلت للقمة بعد كفاح مرير وأصبحت نجمة والنجوم لا تهوي.. إنني أحفظ أسماء الروايات الخالدة التي مثلتها وأسماء مؤلفيها. لقد قدمت يا فاطمة مسرحيات عالمية من الأدب اليوناني والإنجليزي والفرنسي والإيطالي والروسي ومن بلاد الشمال وكذلك الأدب الألماني والعربي وهي مسرحيات إنسانية خالدة لا تموت من جميع الأنواع المأساة والفكاهة. رواية الحب.. ركن الزيزفون.. روكامبول.. لوكاندة الأنس.. تيودور.. مانون ليسكو.. راباجاس.. روبيلاس.. السلطان عبد الحميد.. جان دارك.. الفاجعة.. شارلوت كورديه.. مُحَمَّد الفاتح.. الوطن.. بيزانطة.. سلامبو.. الساحرة.. الإمبراطور.. غادة الكاميليا.. ماريون دى لورم.. زليخا.. الحب المحرم.. خلى بالك من أمي.. يوليوس قيصر.. بسلامته بيصطاد.. الجبارة.. فجر.. المائدة الخضراء.. النسر الصغير.. العباسة.. كليوباترا.. حواء.. مدام سان

جين.. إبراهيم باشا.. الكابورال سيمون.. العاصفة.. هملت.. مجنون ليلى.. بحد السيف.. على بك الكبير.. فاطمة عقيلة.. ليلة من ألف ليلة.. أما ليلة.. غريزة المرأة.. ٦٦٧ زيتون.. الدكتور.. سميراميس.. البعث.. توتو.. أميرة الأندلس.. أنا كارنينا.. الزوجة العذراء.. مونت كارلو.. ابن السفاح.. الجامحة.. عواصف.. الشيطانة.. المتمردة.. يهوديت.. المستهترة.. سالومي.. مريض الوهم.. ذات الشعور.. الذهب.. المشكلة الكبرى. معركة الشباب.. قوت... المؤلفين: إسكندر دوماس.. فيكتور هوجو.. شكسبير.. هنري باتاي.. أحمد شوقي.. أنطون يزبك.. بيرم التونسي.. إبراهيم عبد القادر المازني.. محمود كامل المحامي.. طاهر حقي.. عبد الرحمن شردى.. عزيز عيد.. جورج عيد.. استيفان روستي.. فؤاد سليم.. أحمد جلال.. أحمد رامي.. سليمان نجيب.. نجيب محفوظ.. رشاد حجازي.. مُحَمَّد السوادي.. خليل مطران وغيرهم. وقد ظهرت في الآونة الأخيرة عدة اتجاهات حديثة في المسرح اتخذت طابعا دعائيا للتأثير على قواعد المسرح التقليدي، فهناك المسرح التجريدي واللامعقول.. ومذهب برخت وغير ذلك.. من مذاهب جديدة لم يتضح بعد مدى رسوخها في أذواق الجماهير خاصة أن المناظر والديكورات التي تبين مدى العمق والتأثير والاتجاه والزمن قد تغيرت تغيرا كاملا في هذه المذاهب واستبدلت بخطوط أو رموز أو انعكاسات للتخمين. وكل حسب تفكيره وخياله. في مدى هذا الاتجاه السرياليزمي. وقد حضرت مرة رواية للكاتب يونسكو.. وخرجت وأنا أسائل نفسي بعد جهد طويل.. ماذا يهدف المؤلف بهذه التمثيلية؟ ما أعظم الفرق بين المسرح التقليدي الذي عرض

لنا روائع سوفوكليس وأرسطوفان وشكسبير وجوته وراسين وفولتير وكورني وغيرهم من الخالدين وبين المذاهب المتعددة في المسرح الحالي. فأين هذه المذاهب التي تشبه المودات من المسرح الإنساني العالمي العتيدة؟! هذه المذاهب الجديدة ما هي إلا فقاقيع لا تلبث أن يطفئها النسيم ولا تستطيع أن تصمد أمام الروائع العالمية الإنسانية الراسخة مادام هناك إنسانية وإنسان."

هذه لمحة لبعض ما اكتنف حياتي من أحداث أثناء عملي في المسرح والسينما.. ويزهوني أنني ساهمت في وضع حجر في النهضة المسرحية في وطني الحبيب، فقدرني الشعب، وقدرتني الدولة، ومازلت على استعداد للكفاح في سبيل وطني وعروبتي، كفاح الفنانة الناضجة التي تريد من صميم فؤادها أن تساهم في رفعة شأن وطنها ونصرته وخلوده بإذن الله.

قالوا عن فاطمة رشدي

«الصغيرة الحسناء التي دخلت قلوب أبناء جيلي ولم تخرج منها حتى الآن، ذات الجمال المصري المتجبر، حركاتها فتنة، لمساتها فتنة، صوتها فتنة».

فاطمة رشدي.. أولى خطواتها الفنية كانت على خشبة مسرح أستاذها يوسف وهبي.. كانت فاتنة الجمال.. فاتنة الصبا.. تحفة في فن الإلقاء.. فلما احتدم الخلاف بينها وبين أستاذها رمسيس الجبار كان لديها من الشجاعة – معتمدة على عزيز عيد– من أن تنشيء «المسرح المستقل» لتنافس أستاذها يوسف وهبي، وكانت تستضيف الطلبة في حفلات مجانية أو مخفضة فسميت بصديقة الطلبة.

ولي كلمة ورأي عن السينما أقول فيها ما قلته عن المسرح.. أين فيلم كالعزيمة الذي قدم لنا نماذج بشرية لأول مرة كان الإقطاع ورأس المال يحجبانها عنها، مُحَمَّد ابن الحلاق الفقير الذي يفاخر أولاد الذوات المدللين بعلمه وفقره.. فاطمة بنت البلد.. تكاد الملاءة اللف تأكل قطعة من جسدها تكافح مع خطيبها ثم تستسلم للوشاية ثم تثور وتعود إلى الحارة موطنها الأصلي.

فكري أباظة

"الجمهورية" ٣١ يوليو ١٩٦٩

***

فاطمة رشدي، وكلمة فاطمة رشدي، معناها أربعون سنة من تاريخ المسرح المصري.. في زماننا – زمان فرقة رمسيس – كما لا نعرف ممثلتين وقفتا على المسرح، أعظم من فاطمة رشدي وزينب صدقي، ومع هذا، فإن زينب صدقي حياها الله، قالت لي منذ أيام: «لا تقارن بيني وبين فاطمة رشدي.. فاطمة أعظم مني، ومن أي ممثلة وقفت على المسرح في تاريخ المسرح المصري.. فاطمة رشدي العظيمة كرمتها الدولة.. ومحتها أكثر من وسام، وجعلت لها شارعا يحمل اسمها في محافظة الجيزة".

صالح جودت

"الكواكب" في أول سبتمبر ١٩٧٠

***

إن فنانة مثل فاطمة رشدي كافحت في الحقل الفني سنوات طويلة وشاقة، هي فنانة جديرة بالتكريم، تكريمها لتاريخها الفني.. يكفي – في المسرح – أنها أقامت مسرحا.. وفي السينما شاركت في أفلام تمثل «انتقالة» كبيرة في تطورنا السينمائي.. أليس من واجبنا تكريم فنانة فضلت – وهي في عز شبابها– أن تنشيء مسرحا، وكان من السهل أن تنشيء «كازينو» مثلا!!

عبد الفتاح البارودي

"الأخبار" في ١٩٧٠/٧/٨

***

ذكرياتي عن فاطمة رشدي من أكثر ما أعتز به من ذكريات.. الرواية الأولى التي اشتركت في تمثيلها كان اسمها – ٦٦٧ زتون – وهي كوميديا من تأليف المرحوم الأستاذ سليمان نجيب.. وفي فرقة فاطمة رشدي رأيت أحلامي.. نجوميتي.. ورأيت العظماء: أحمد علام – عباس فارس – بشارة واكيم –كنت أسمع عنهم وأنا الآن أمثل بجانبهم. لقد عاملوني كأخ صغير.. أعطوني كل خبراتهم. لم يحاولوا أن يحجبوا عني الضوء أخذوا بيدي كلما تعثرت وهكذا كان كل نجوم زمان أساتذة يحترمون ويشجعون المواهب الجديدة لا حقد، ولا كره، ولا دسائس.

وفرقة فاطمة رشدي كانت مدرستي الأولى.. في هذه المدرسة مثلت دور زياد ظل قيس في رواية مجنون ليلى، ودور المجنون كان من الأدوار التي يتنافس عليها الكبار. وفي السنة الخامسة عهد إلي الأستاذ فتوح نشاطي بدور ميكوبين في رواية الذهب ونجحت رواية الذهب، وانتقل فريق الخديوية ليمثلها على مسرح الأزبكية بعد أن أجرت المدرسة هذا المسرح من الفنانة الكبيرة فاطمة رشدي التي كانت تعمل عليه. وبدأنا نمثل «الذهب».. وتسللت فاطمة رشدي في ظلام القاعة لتتفرح علينا وبعد انتهاء العرض ذهبت فاطمة رشدي إلى رئيس الفريق وقالت له:

– لماذا استعنتم بممثل محترف ليلعب دور ميكوبين..

أجابها رئيس الفريق أن هذا الممثل هو الطالب محمود المليجي. وبعد دقائق من هذا الحوار وجدت أمامي فاتنة المسرح.. صديقة الطلبة.. الفنانة فاطمة رشدي التي كانت في ذلك الوقت نجمة متألقة لا تطاردها الرقاب..

متألقة الفن ومتألقة الجمال.. جاءت الفنانة الكبيرة لتهنئني، وعلى شفتيها ابتسامة حلوة. ولم أكن أتصور أن ما حدث قد حدث.. فاطمة رشدي تهنىء الطالب محمود المليجي، وتظنني أحد المحترفين، وقررت الفنانة فاطمة رشدي أن تجازف وتلحقني بفرقتها.

محمود المليجي

الجمهورية" ١٩٧٠/١٢/١٧

***

قصة تولستوي الخالدة «البعث» كعمل روائي عالمي تناولته السينما العالمية وكما تناوله المسرح أكثر من مرة، وكان المسرح المصري قد قدم هذه الرواية في الثلاثينات وأخرجها عزيز عيد لفرقة فاطمة رشدي، واشترك في أداء أدوارها فاطمة رشدي في دور «كانوشا». لقد شاهدت «البعث» على مسرح فاطمة رشدي إخراج عزيز عيد، ولن أنسى الفصل الأخير من هذه المسرحية.. مشهد سيبريا. والحديث عن مسرح عزيز عيد يشدني إلى الخروج إلى ذكر الذين عاشوا تلك الفترة من العصر الذهبي للمسرح.. مثلا.. عزيز عيد يقدم على مسرح فاطمة رشدي مسرحية شكسبير «يوليوس قيصر» وبجواره وفي نفس العملية مسرح رمسيس يقدم «يوليوس قيصر» وتصور كيف وزعت أدوار هذه المسرحية.. وكيف كانت المنافسة بينهما. إن فاطمة رشدي التي قدمت على مسرحها روائع سارة برنار.. ظاهرة لن تتكرر ولا بعد خمسين سنة من الآن.

حسن الإمام

"الجمهورية " ٣ يونيه ١٩٧٠

يقول الأستاذ فتوح نشاطي «أحد رواد المسرح المصري الحديث» عن جورج أبيض إنه كان ممثلا قديرا ولكنه يفتقد التنويع، وعن فاطمة رشدي أنها سريعة الحفظ لا تخطيء في كلمة واحدة ولكن الغرور الذي سببته لها شهرتها الكبيرة في سن الـ١٧.

فتوح نشاطي
"الأهرام" ١٩٧٠/٧/١٢

***

ما شاهدت عيني ممثلة.. كفاطمة الشهيرة أيدت جلال الفن حتى.. في مواقفه الخطيرة جاءت تداعب دجلة.. أبان ثورته الأخيرة جمعت إلى الفن الجميل.. جمال طلعتها المنيرة وجه صبوح ذو رواء.. مثل زنيقة نضيرة الصورة الحسناء رامزة.. إلى حسن السريرة لله أنت وللبراعة.. من ممثلة خطيرة .

الشاعر العراقي الزهاوي

أعمالها الفنية

أهم مسرحياتها :

*«زقاق المدق» –أولي رواية لنجيب محفوظ – قدمت فوق خشبة «المسرح الحر» بدار الأوبرا في أكتوبر عام ١٩٥٨ أعدتها للمسرح أمينة الصاوي وأخرجها كمال ياسين، تمثيل : «فاطمة رشدي، كمال ياسين، مُحَمَّد رضا، عبد المنعم مدبولي، وسهير المرشدي في بعض الليالي» .

*«بين القصرين» – أولى أجزاء ثلاثية نجيب محفوظ – إعداد أمينة الصاوي– إخراج صلاح منصور، بطولة : مُحَمَّد أباظة، وفاطمة رشدي، وأمال زايد، وميمي جمال في بداياتها» عام ١٩٦٠ وكان أحد أسباب الجذب الجماهيري لهذا العرض هو اشراكهم لفاطمة رشدي بعد انقطاع طويل عن التمثيل.

–النسر الصغير

–الذئاب

–الصحراء

–القناع الأزرق

–الشرف

–ليلة

–الدخلة

–الحرية

–ميرمار

–غادة الكاميليا

–جان دارك

–السلطان عبد الحميد

–يوليوس قيصر

–مصرع كليوباتره

–العواصف

–النزوات

–قصر الشوق

زقاق المدق

_ كما قدمت مجموعة كبيرة من المسرحيات التي تعدت ٢٠٠ مسرحية .

أهم أفلامها:

–فاجعة فوق الهرم – عام ١٩٢٨

–تحت سماء مصر – عام ١٩٢٨

الزواج – عام ١٩٣٣

العزيمة – عام ١٩٣٩

–إلى الأبد – عام ١٩٤١

–العامل– عام ١٩٤٣

–الطريق المستقيم – عام ١٩٤٤

بنات الريف – عام ١٩٤٥

مدينة الغجر – عام ١٩٤٥

غرام الشيوخ – عام ١٩٤٦

عواصف – عام ١٩٤٦

الطائشة – عام ١٩٤٦

الريف الحزين – عام ١٩٤٨

–دعوني أعيش – عام ١٩٥٥

ملحق الصور

افيش ثمن السعادة

اثناء توقيع عقد احدى المسرحيات

افيش فيلم العزيمة

السيدة فاطمة

السيدة–عزيزة–أمير

تحت يدي الماكيير

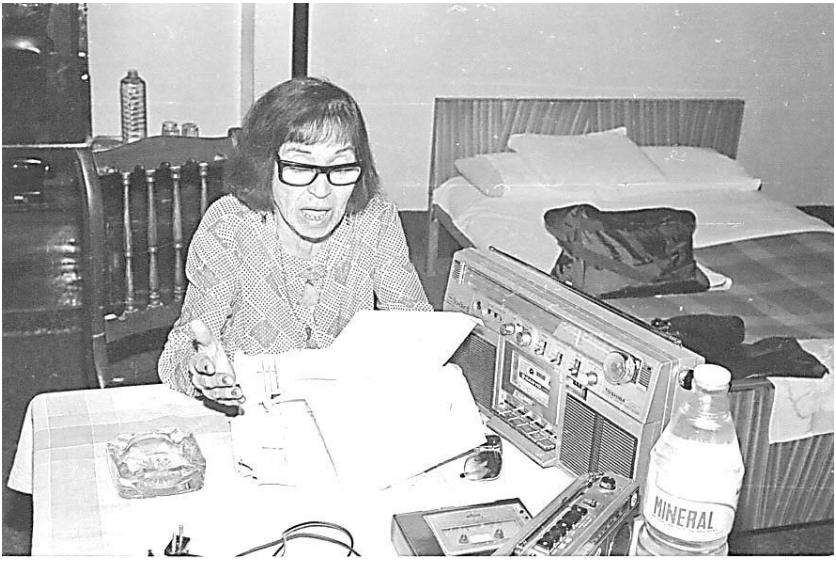

تقرأ دورها في غرفتها

تكريم حضره كبار نجوم عصرها

على المسرح

جمال فتان

جمال متفرد

حياتها بانوراما

رائدة من رائدات السينما المصرية

فاطمة رشدي

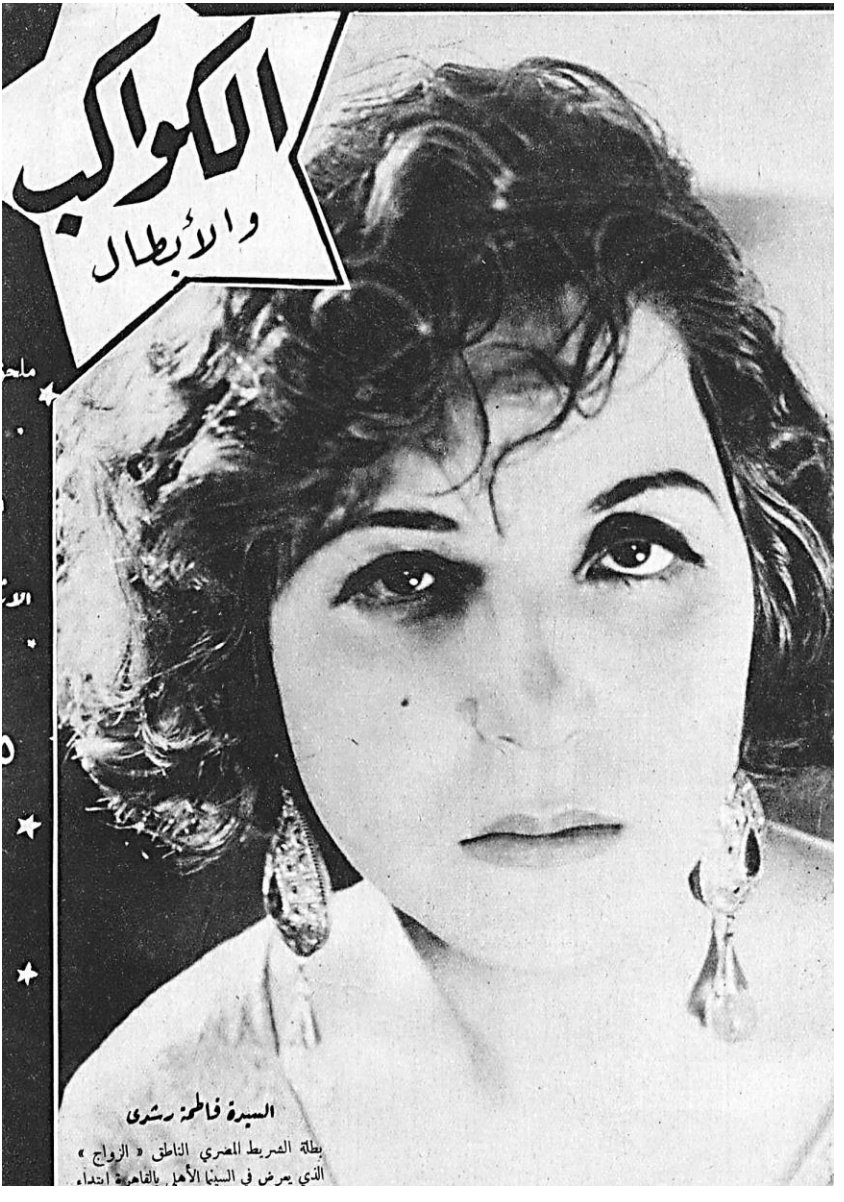

غلاف مجلة الكواكب

غلاف مجلة المسرح

فاطمة رشدي في الزي الأسباني

فاطمة رشدي في شبابها

في باريس

في عمل إذاعي

في دور الممرضة

في مشهد تمثيلي مع يوسف وهبي

لقطة من فيلم العزيمة

مجلة الموعد اللبنانية

مشهد من احد افلامها

مشهد من فيلم الزواج

مع استيفان روستي

مع يوسف وهبي

اعتزلت الفن في أواخر الستينات

الفهرس

مقدمة ٥
الشاب الذي أحبني ١٣
أول ليلة على المسرح ٢٠
الإعجاب بنبوغي الفني والحب البرئ ٢٧
عزيز عيد أستاذي ٣٦
لم أكن أدرك معنى الزواج ٤٥
النشر الصغير وبطلة لمسرح رمسيس ٤٨
رحلاتي إلى أوروبا ٥٧
منافسة شديدة ٦٤
بين نارين.. الحب والمسرح ٦٨
عاشقة للفن ٧٨
مؤامرات فنية ٨١
الشاب الجزائري ٩٠
فيلم " العزيمة " ٩٦
المنافسة أحيانا غير شريفة ١٠٢
كمال سليم وعزيز عيد ١٠٦
حديث الذكريات ١١٥
قالوا عن فاطمة رشدي ١٢٦
أعمالها الفنية ١٣١
ملحق الصور ١٣٤